ديوان

بديع الزمان الهمذاني

دراسة وتحقيق

يسري عبد الغني عبد الله

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الثالثة
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

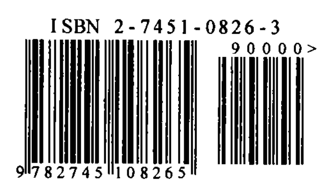
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ١٣/١٢/١١/٨٠٤٨١٠ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-0826-3



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أما قبل..

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، يدعو الناس أن يعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين الحق والخير، دين العلم والمعرفة والتوحيد، دين النور المبين، فصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ما صلى على أحد من خلقه، والسلام عليه ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد..

هذا ديوان (بديع الزمان الهمذاني) الأديب، الأريب، الأديب الساخر الذي وسدوه الثرى، وهالوا عليه التراب.. من غير أن تعقد عليه مناحة، أو يلطم خد، أو يخمش وجه، أو ينشر شعر، أو يمزق ثوب، أو يشق جيب، أو يدعى ويل، أو يسود باب.

وبكل ذلك كان أوصى بديع الزمان في آخر ما خطه قلمه، ليحمل من فعل شيئاً من ذلك وزره، ويبرأ هو ممن بدل وصيته، ويحمله إثم ما بدل!! ذلكم هو أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الذي كنوه «أبا الفضل» ولقبوه «بديع الزمان»!!

لقد بدأت علاقتي بالهمذاني في عام ١٩٨٢م عندما كنت أعد دراسة أدبية عن فن المقامات في أدبنا العربي، وكان كل همي عندما توقفت عند مقامات البديع أن أحللها كي أثبت بالدليل القاطع أنها انعكاس مباشر للمجتمع الذي عاشه البديع، وبمعنى آخر كانت مقامات البديع خير وثيقة اجتماعية للعصر الذي شاهد كتابتها.

كنت أستقصي المراجع التي تناولت الرجل ومقاماته استقصاءً هدفه المقامات الهمذانية فقط، ولكني كنت أقابل بين الفينة والفينة أشعاراً عذبة رقيقة للهمذاني، ورغم أن كل المراجع والمصادر من أمهات كتب التراث والتي عاصرت الرجل أو جاءت بعده تؤكد شاعريته بجوار إبداعه لفن المقامات ولكن شاءت الأقدار أن يعرف بمقاماته أكثر مما يعرف بشعره وشاعريته، فارتبط اسم البديع بالمقامات ارتباط حاتم بالكرم، وعنترة بالشجاعة، والأعشى بيوم ذي قار.

وقرأت أشعار البديع المتناثرة بين ثنايا بطون الكتب وجمعتها ضابطاً إياها مصححها على أكثر من رواية، محققاً مناسبة قولها، مقطعاً لها كي أعرف بحور وزنها. كل ذلك جمعته في وريقات ومرت الأيام وزادت مشاغل الحياة، وانشغل الفكر بأعمال دراسية أخرى بعضها رأى النور والآخر ما زال يبحث عن نافذة يطل منها.. وكنت أقلب دواوين بعض شعراء العرب القدامى، فوقعت على طبعة قديمة صفراء جمعت بين دفتيها بعض أشعار بديع الزمان وكان أصحاب دائرة المعارف الإسلامية قد أشاروا إليها وقالوا إن معظم أشعارها مدح في ممدوحيه وكتب على هذه الطبعة: (ديوان العلامة فخر همذان بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني رحمه الله تعالى) وكتب عليها أن حقوق إعادة طبعها محفوظة لملتزميها الفاضلين: الشيخ عبدالوهاب رضوان ـ ومحمد شكري أفندي المكي وتاريخها ١٩٠٣م وتم الطبع في مطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر لصاحبها إسماعيل حافظ الخبير بالمحاكم الأهلية.

ويقول الأستاذ محمد شكري المكي: ان بديع الزمان سارت بذكره الركبان. ولم يختلف في فضله اثنان. فهو أبو الفضل أحمد بن الحسين علامة همذان فارس ميدان البراعة رب المقول واليراعة وناهيك باعتراف الحريري له بفضيلة السبق في المقامات. وأنه سباق غايات. وصاحب آيات. وكانت وفاته سنة ٣٩٨ هـ وقد أربى على أربعين سنة وله ديوان شعر هو ديوان الأدب. يحق للعجم أن تفخر به على العرب. يزري بعقود الجمان. وقلائد العقيان.

ويقول الأستاذ المكي ان الديوان عزيز الوجود وله حق في ذلك. ويضيف أنه بذل

في تحصيله كل المجهود ونقول له جزاك الله خيراً على جهدك وجعل مثواك الجنة.

ويقول انه ظفر بنسخة لدى المرحوم أحمد بك تيمور، نسخة لديوان الهمذاني يصفها بأنها مصححة على نسخة صحيحة بخط الحجة الثقة شيخنا الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي المكي نزيل مصر.

ولنا عدة ملاحظات على هذه الطبعة:

١ ـ إن الطبعة قديمة جداً، أوراقها صفراء.

٢ ـ مليئة بالأخطاء المطبعية، والنحوية، والإملائية، والعروضية.

٣ ـ خالية من العناوين والشروح اللغوية، وذكر المناسبات التي قيلت فيها القصائد.

٤ ـ ليس فيها أي فهارس تذكر.

٥ ـ انعدام التنظيم في تبويب القصائد حسب قافيتها.

هذا عن النسخة المطبوعة، أما النسخة الأخرى فهي نسخة أحمد تيمور باشا المخطوطة وحاولت الاطلاع عليها في دار الكتب ولكن جرد المخطوطات ولجانه ما زالت تمارس نشاط جردها منذ أول يوليو ١٩٨٥ ولم تنتـه بعد، وبعد محاولات دؤوبة مع المسؤولين حصلت على الميكروفيلم الخاص بهذه المخطوطة بعد أن اشترطوا عليَّ عدم طبعه أو تصويره ويمكن لي القول ان عدد صفحات المخطوط حوالى ١٥٠ صفحة خطها نسخ، معظم الصفحات مثقوبة أو مخرومة، وبعضها مطموس غير واضح، والآخر ممزق، مع أخطاء واضحة في الإملاء أعتقد أن سببها الناسخ.

وعدت إلى شعر الهمذاني الذي جمع منه الثعالبي حوالى ست عشرة قصيدة معظمهـا ناقص أبياتاً وردت في النسخة المطبوعة أو المخطوطة ولم يذكرها الثعالبي في: (يتيمة الدهر) الجزء الرابع منهـا في الصفحات من ١٩٥ إلى ٢٠٤.

وفي (معجم الأدباء) لياقوت الجزء الثاني قصائد لم تذكر في المصادر السابقة ولم يشر أحد إليها قمنا بتحريرها وضبطها وتحقيقها[١].

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي جـ ٢ الصفحات من ١٦١ إلى ٢٠٢. طبعة عيسى البابي الحلبي.

ذلك بالإضافة الى مجموعة ضخمة من كتب الأعلام والرجال، والمصادر التي عاصرت الهمذاني أو كتبها رجال أفاضل جاؤوا بعده.

كل ذلك جمعنا منه (ديوان الهمذاني)، ذكرنا قصائد لم تكن موجودة في المطبوع أو المخطوط، وصححنا أخطاء لم يتنبه إليها أحد.

أما طريقتنا في التحقيق فكانت كالتالي:

١ ـ نسخ القصيدة ومضاهاتها في كل المصادر المشار إليها والخروج بعد النظر والمقارنة بأحسن صورة صحيحة.
٢ ـ ضبط القصيدة لغوياً، وتصحيحها نحوياً، وإملائياً.
٣ ـ شرح الكلمات الصعبة.
٤ ـ ذكر مناسبة القصيدة.
٥ ـ التعريف بالأعلام أو الأماكن قدر الإمكان.
٦ ـ تحديد بحر القصيدة وكلمة عن هذا البحر مع ذكر تفعيلاته.
٧ ـ وضع عنوان لكل قصيدة يناسب محتواها.
٨ ـ عمل فهرست للبحور والقوافي.

هذا عن طريقتنا المتواضعة في التحقيق، أما عن الدراسة فقد تحدثنا عن الهمذاني تفصيلاً وفضله على المقامة وتطورها، كما تحدثنا عن الشعر على أيامه وعصره، وكذلك النثر الفني.

أما عن كونه شاعراً فديوانه الذي بين يد القارىء العزيز وثيقة نصية نتركها للقارىء كي يحكم على كون الرجل شاعراً وقيمته ومكانته وفي نهاية هذا التقديم أرجو المولى سبحانه وتعالى أن يكون جهدي حاز قبول القارىء.. كما أتوجه بالشكر لكل من قدم لي يد العون والمساعدة كي يرى هذا الديوان النور.

والله ولي التوفيق.

العصر

كانت وفاة « الهمذاني » (٣٩٨ هـ) على الأرجح ومعنى ذلك أن الرجل عاش في العصر العباسي الثاني الذي امتد من ٣٣٤ هـ إلى ٦٥٦ هـ.

إن المتتبع للحياة العامة في هذا العصر يجد مظاهر عدة، أبرزها:

أولاً: انقسام الدولة: فقد أدى تنازع العصبيات الثلاث: التركية، والفارسية، والعربية، إلى ضعف الخليفة العباسي، فانقسمت الدولة دويلات:

- استقلت الدولة السامانية [وهي دولة فارسية حكمت خراسان والتركستان من ٢٦١ هـ إلى ٣٩٥ هـ]. بخراسان وتركستان.

- الدولة البويهية واستقلت بالعراق وفارس من ٢٢١ هـ الى ٤٤٧ هـ وكان من ملوكها « عضد الدولة » ومن وزرائها ابن العميد.

- الدولة الحمدانية بحلب والموصل.

- الدولة الفاطمية من المغرب إلى مصر والشام.

- الدولة الأيوبية بمصر وجنوب الشام.

ثانياً: سوء الأحوال الاقتصادية: ترف لا حد له استأثر به الملوك، ومن يلوذ بهم، أدى إلى انحلال أخلاقي - ويظهر أثر الثراء في أشعار هذا العصر مثال لذلك قصدة « عمارة اليمن » المتوفى ٥٦٩ هـ في وصف دار « بدر بن رزيك » والتي مطلعها:

أنشأت فيها للعيون بدائعاً ... دقت، فاذهلَ حسنها من أبصرا

وفقر مدقع لعامة الشعب يبدو أثره في الشكوى التي فاضت بها قصائد كثير من شعراء هذا العصر.

ثالثاً: انتشار الرقيق وكثرة اقتناء الجواري من الروميات وغيرهن، فامتلأت بهنّ البيوت، مما أدى إلى فساد اللسان العربي.

رابعاً: الخلافات المذهبية حيث اشتد النزاع على الخلافة بين الشيعة والسنة.

خامساً: كثرت الحروب بين هذه الدويلات من ناحية، وبينهم وبين الافرنج من ناحية، ولعل أشعار المتنبي، وأبي فراس الحمداني، والحسن الجويني خير دليل على ذلك.

سادساً: حسن الحالة الفكرية وذلك بقيام المدارس والمكاتب، مع ازدهار العلوم والآداب، وتحسنت الحالة الفكرية.

حالة الشعر في عصر الهمذاني وأسبابها

(ا) العوامل المؤثرة في الشعر على أيام الهمذاني (العصر العباسي الثاني)

- كان لانقسام الدولة في هذا العصر أثران بارزان:

أحدهما: صبغة الشعرِ في كل إقليم بصبغة أهله وعاداتهم، وثقافتهم، فنشأت من ذلك آداب قومية.

وثانيهما: قوته رغم أنّ الدولة العباسية ضعفت سياسياً - وأسباب قوته هي:

١ - تنافس حكام الأقاليم في جذب الشعراء إليهم بالعطايا، ليذيعوا محامدهم.

٢ - كان بعض الحكام عرباً يطربون للأدب، فعملوا على تشجيعه.

٣ - وجد الشعر له أوطاناً عدة، بعد أن كان الشاعر لا يجد غير بغداد، فتعددت طرق الشهرة أمام الشعراء.

٤ - غرسُ العصر العباسي الأول آتى ثماره في هذا العصر

(ب) أغراض الشعر في عصر الهمذاني:

١ - نظموا في الأغراض التي نظم فيها السابقون: كالغزل، والمديح، والحكم، والرثاء، والوصف، والعتاب، والفخر.

٢ - انبعث الفخر بعد أن كاد يضمحل وينسى، كما في أشعار الشريف المتوفى

(٤٠٦ هـ)، وأبي فراس الحمداني المتوفى (٣٥٧ هـ)، والمتنبي المتوفى (٣٥٤ هـ)، وابن سناء الملك المتوفى (٦٠٨ هـ).

٣ - انتشر الشعر التهكمي (شعر السخرية)، واتسع مجال المجون كما في شعر محمد بن سكرة الهاشمي. الذي كان يعيش في القرن الرابع الهجري، ومن هزلياته وقد نزلت به نزلة في حلقه:

قلت للنزلة حُلّي وانزلي غير لهاتي
واتركي حَلقي بحقي فهو دهليز حياتي

٤ - وجد الشعر الصوفي، وما هو إلا تطور لشعر الزهد في العصر العباسي الأول، وذلك أنه لما نمت الثقافة وكثرت الترجمة تأثرت فكرة الزهد بتطور العقلية الإسلامية، واطلاعها على المذاهب الدينية للهنود والفرس، وغيرهم، فتحور الزهد إلى تصوف، وممن اشتهر به ابن الفارض (سلطان العاشقين)، ومن قوله فيه يظهر شدة تعلقه بالله سبحانه وتعالى:

أنتم فُروضي ونفلي أنتم حديثي وشغلي
يا قبلتي في صلاتي إذا وقفت أصلي

٥ - اتسع مجال شعر الحكمة والفلسفة كما في شعر المعري المتوفى سنة (٤٤٩ هـ).

٦ - توسعوا في وصف الطبيعة والمعارك الحربية بين المسلمين والروم والصليبيين، كما توسعوا في شعر التهاني بالانتصار وفي المواسم والأعياد، وأكثر ما كان ذلك في مصر الإسلامية أيام الفاطميين والأيوبيين.

(جـ) معاني الشعر في عصر الهمذاني:

١ - شاعت فيه الأخيلة والأوصاف التي تقتضيها معالم الحضارة.

٢ - شاعت المبالغات في معانيهم وهنا نذكر قصيدة الشاعر المصري القاضي السعيد هبة الله (ابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨ هـ) وفيها يفتخر بنفسه ويعدد مناقبه مشيداً بعزته وكرمه ورفعته فيقول:

ولـو كـان إدراك الهدى بتـذلـل رأيت الهدى ألاَّ أميـل إلى الهـدى
وإنـك عبـدي يـا زمـانُ وإنني على الرُّغْم مني أن أرَى لكَ سَيِّدا
وما أنـا راضٍ أنني واطـىء الثرى ولي همةٌ لا ترتضي الأفـق مقعـدا

ونفس المبالغات نلمحها في أشعار البديع الهمذاني كما سنقرأ في ديوانه.

٣ - حسن الربط بين المعاني، كما في حكم المتنبي:

إذا الطعن لم تُدخلك فيه شجـاعـةٌ هي الطعن لم يدخلـك فيـه عَـذول

وقوله:

إذا لم تكـن لليـث إلا فـريســةً غــذاه ولم ينفعــكَ أنــك فيــلُ

وقوله:

إذا ترحلت عن قوم وقـد قـدروا ألا تفـارقهـم فـالـراحلـون هــم
شر البلاد مكـان لا صـديـق بــه وشر ما يكسبُ الإنسـانُ مـا يصمَ

وتجد حسن الربط أيضاً في أشعار المعري وخاصة أشعاره الفلسفية التي تعطينا صورة واضحة لنضج الفلسفة وتغلغلها إلى أعماق العقلية الإسلامية في هذه الحقبة (العصر العباسي الثاني). وقلما نرى بيتاً للمعري لا يصلح لأن يكون حكمة أو مثلاً سائراً مع عمق في المعنى وقوة في الحجة.

٤ - شيوع المعاني الحكمية والفلسفية، كما في أشعار حكيم المعرة وأبي الطيب، فجاءت معاني الشعر في هذا العصر أكثر دقة وعمقاً.

٥ - كثرت المعاني الدينية لتعدد المذاهب: من شيعة، وسنـة، وصوفية، وتجلى ذلك في شعر الهمذاني في مدحه لآل الرسول ﷺ أكثر من مرة، وهجومه الشديد على الشيعة المتطرفة، ودفاعه عن سيدنا علي كرم الله وجهه، أيضاً نجد هذه المعاني في أشعار الحسن الجويني.

(د) ألفاظ الشعر في عصر الهمذاني:

١ ـ رقت ألفاظ الشعر ولانت أساليبه، وقل فيه استعمال الغريب.

٢ ـ غلبت عليهم الصنعة، فأكثروا من المحسنات البديعية. وزادوا عن السابقين في استعمالها، وبخاصة آخر هذا العصر كما نرى عند الهمذاني الذي يكثر من الصور البلاغية والمحسنات البديعية.

٣ ـ شاعت في بعض أشعارهم ألفاظ أجنبية واصطلاحات فنية، من أثر الحركة العلمية والاختلاط بغير العرب.

(هـ) فروق أدبية:

يلاحظ في شعر العصر العباسي الثاني (عصر الهمذاني) ما يلي:

١ ـ غلبة شعر الفخر والحكمة والمجون على شعر فارس والعراق.

٢ ـ كثرة وصف الطبيعة والمعارك الحربية في الشام.

٣ ـ الإكثار من التهاني بالأعياد والمواسم، وشيوع الرقة والظرف في مصر.

النثر الفني في عصر الهمذاني

سيطرت طريقة عبدالله بن المقفع على الكتابة في أوائل العصر العباسي؛ ولما ظهرت طريقة الجاحظ سارت الطريقتان جنباً إلى جنب في بعض الحالات. وغلبت طريقة الجاحظ في حالات كثيرة.

وبمرور الزمن زادت عناية الكتاب بالألفاظ والأسلوب، وتزيين العبارات بالبديع، حتى جاء العصر العباسي الثاني فكان أبرز ما يتصل بالنثر الفني فيه ثلاثة أشياء:

أولاً: ابن العميد ودوره:

ابن العميد هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد، من أصل فارسي، اشتهر بالعلم والأدب واتصل ببني بويه، وساعدهم على تأسيس دولتهم، وأصبح وزيراً لركن الدولة بن بويه، واشتهر بحسن الرأي والتدبير. وكان العلماء والأدباء يفدون إليه فيكرم وفادتهم، وممن ذهب إليه ومدحه (المتنبي) وله طريقة خاصة في الكتابة.

صفات أسلوب ابن العميد:

- الإكثار من السجع.
- العناية بالمحسنات البديعية الأخرى كالجناس.
- العناية بالكنايات والاستعارات.
- الإطالة المسرفة.

العناية باللفظ أكثر من المعنى، وللأسف الشديد سيرى من يدرس أدبنا العربي أن هذه الطريقة بمرور الزمن قد جنت على الكتابة العربية، وجعلتها بهرجاً زائفاً.

ـ ولا نريد هنا أن نغض من مكانة ابن العميد الأدبية، فهو علم من أعلام البلاغة المشهورين، ولكن نريد أن نقول: إنه، وقد تربى في أحضان فارس، وعاش في ظلال الرفاهية، أضفى من تكلف الفرس وزخرفهم على الكتابة العربية ما جعلها على هذه الصورة.

نقطة أخرى: كان ابن العميد يملك موهبة المزج بين العاطفة والفكرة، وهي لا تتأتى لغيره، لذلك كانت طريقته [نعمة ونقمة] على نثرنا الأدبي، ولذا قيل أيضاً: [بدأت الكتابة بعبد الحميد الكاتب وانتهت بابن العميد].

ثانياً: المقامات: رائدها هو بديع الزمان، صاحبنا في هذه الرحلة وكما يعلم القارىء أن القصة من فنون النثر الهامة، ولكنها لم تكن معروفة في الأدب العربي، حتى جاء العصر العباسي، واطلعوا على قصص عربية. وفي الوقت الذي بدأ العرب يكتبون قصصهم بصورة جدية كانت هناك ظاهرتان:

(ا) كان الفقر والبؤس في الدولة في العصر العباسي الثاني قد شاعا بين الطبقتين الوسطى والدنيا، ولم يجد الأدب مشجعين له، فبدأ الأدباء يكتبون قصصاً تصور انصراف الحكام عن تشجيع الأدباء، واضطرارهم إلى الطواف في البلاد للاستجداء بأيديهم واحتيالهم.

(ب) وكان النثر قد شاعت في أسلوبه الزخرفة، وإظهار البراعة بمعرفة غريب اللغة، فكتبوا القصص بهذا الأسلوب، مصورة بؤس أولئك الأدباء.

ـ لقد أخذت هذه القصص اسم (المقامات)، والمقامة في اللغة: المجلس والجماعة من الناس، ثم قصد بها ما يكتبه الأدباء من قصص مليئة بالتكلف تصور بؤس الأدباء واحتيالهم لكسب عيشهم، ولها راوية ينقل الخبر، وبطل تدور حوله حوادثها.

وبعد ذلك لا مانع من أن نركز على النقاط التالية:

★ المقامة وليدة طريقة ابن العميد.

★ المقامة قصة قصيرة مختارة تدور حوادثها حول رجل أديب فقير يجول في البلاد ليحتال بأدبه لكسب رزقه.

★ المقامة مأخوذة الفكرة عن الأدب الفارسي.

★ الغرض من كتابتها: إظهار البراعة، وحفظ متن اللغة، وتصوير حالة طائفة من الأدباء الفقراء.

★ يمتاز أسلوب المقامة بالتزام السجع تقريباً، وكثرة المحسنات البديعية، وامتلائها بالألفاظ اللغوية الغريبة، وجمعها بين شعر الكاتب ونثره، وظهور التكلف فيها.

ثالثاً: القاضي الفاضل هو أبو علي عبدالرحيم العسقلاني، ولد بمدينة عسقلان على ساحل فلسطين، وعمل رئيساً لديوان الإنشاء على آخر أيام الدولة الفاطمية، أيام صلاح الدين الأيوبي وابنه العزيز، وكان معهما أشبه بالوزير، وهو صاحب الطريقة الفاضلية في الإنشاء التي أساسها التورية، والجناس والطباق، توفي سنة ٥٨٦ هـ.

وبقراءة نثر القاضي الفاضل يتضح لنا خصائص أسلوبه:

١ - التزام السجع.
٢ - اختلاف الفواصل طولاً وقصراً.
٣ - الإسراف في المحسنات البديعية، وكثرة الاستعارات.
٤ - كان من المعجبين بطريقة ابن العميد، فتكلف تقليدها وبالغ فيها، وصار يرى البلاغة في ذلك، كما فعل غيره.
٥ - شغلته الألفاظ والصناعة عن المعاني، فكانت الكتابة عنده أشبه بطلاء يبهرنا منظره، ولا يروقنا مخبره.
٦ - سخف العبارات لكثرة المبالغات، والإطالة المسرفة، والمبالغة في ألقاب المديح للعظماء المكتوب إليهم.
٧ - تضمين الحوادث التاريخية والأمثال العربية، لإظهار البراعة في الإلمام بها.

سيرة الرجل

أحمدُ بنُ الحسين بن يحي بن سعيد بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل، قال أبو شجاع شيرويه بن شهردار في تاريخ همذان: إن أحمد بن الحسين بـن يحي بن سعيد بن بشر أبا الفضل، الملقب ببديع الزمان، سكن هراة، وأخذ العلم وروى عن أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكـريـا، وعيسى بـن هشـام الأخبـاري، وكـان أحـد الفضلاء والفصحاء، متعصباً لأهل الحديث والسنة (أي كان أصولياً، سلفياً).

يصفه شيرويه بأنه من مفاخر همذان، وما أخرجت همذان بعده مثله. روى عنه أخوه أبو سعد بن الصفار، والقاضي أبو محمد عبدالله بن الحسين النيسابوري الذي يقول إن وفاة بديع الزمان كانت في سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة (٣٩٨ هـ).

يصفه الثعالبي بأنه معجزة همذان، ونادرة الفلك، وبكر عطارد، وفرد الدهر، وعزة العصر. وأنه لم يلق نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطباع وصفاء الذهن وقوة النفس وأنه لم يدرك قرينه من ظرف النثر ومليحه. وعزر النظم ونكته. ولم يـر ولـم يرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسره. وجاء بمثل إعجازه وسحره. فكان صاحب عجائب وبدائع وغرائب.

ومن عجائبه أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم حرفاً ولا يخل معنى.

ومن عجائبه أيضاً أنه كان ينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يره نظرة واحدة خفيفة ثم ينشد هذه الصفحات عن ظهر قلب دون أدنى خطأ ويسردها سرداً وهذه حالة في الكتب الواردة عليه وغيرها وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء

رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطر منه ثم هلم جراً إلى الأول ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من إنشائه فيقرأ من النظم والنثر ويروي منهما ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة. ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه ومن أمثلة ذلك ومثال ذلك أن القاضي أبا بكر الخيري وردت له رسالة من ابن قاضي هراة. وكلفه الخيري بالرد عليها فأجاد كل الإجادة. وكان مطلعها:

كذا من شام بارقة العذاب ومنته المنى رشف الرضاب

وهي القصيدة الخامسة من هذا الديوان.

ومثال آخر جيميته التي قالها ارتجالاً في الشيخ أبي الطيب بعد أن اقترح القافية ووصف الليل والتي مطلعها:

انعت ليلاً ذا سواد كالسبج مخدر الصبح خداريّ الدعج

وقوله لأبي الحسن بن كثير يوم مهرجان على قافية مقترحة من المجتث قافية المتواتر ومطلعها:

لما بعثت بلحظي في حد جُلْنار نار

ومن موشحاته الرقيقة الموشحة التي اتخذها للأمير شمس المعالي قابوس وهي من مجزوء الكامل قافية المتواتر ومطلعها:

طرباً فقد رق الظلا م ورق أنفاس الصباح
وسرى إلى القلبِ العليـ ـل عليلُ أنفاس الرياح

وغيرها من الأبيات التي سنقابلها في هذا الديوان بإذن الله تعالى

كان إبداعه الفني أو جله عفو الساعة وفيض اليد. ومسارقة القلم ومسابقته لليد

وجرات الحدة وثمرات المدة ومجاراة الخاطر للناظر ومباراة الطبع للسمع وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع كما سنقرأ له في هذا الديوان.

كان في إبداعه عجائب كثيرة لا تحصى ولطائف تطول بنا لو حاولنا الاستقصاء وكان مع هذا كله مقبول الصورة، خفيف الروح حسن العشرة ناصع الظرف عظيم الخلق، شريف النفس، كريم العهد، خالص الود، حلو الصداقة، مُر العداوة كما ظهر ذلك في عدائه للخوارزمي ولكن رغم هذا العداء فقد رثاه بأبيات عذبة صادقة مطلعها:

حنانيك من نفسٍ خافت	ولبيك من كمدٍ ثابت
أبا بكر اسمع وقل كيف ذا	ولست بسمعة الصائب

* * *

غادر الهمذاني همذان مسقط رأسه سنة ثمانين وثلاثمائة وهو في مقتبل الشباب، غض الحداثة[1] وقد درس على يد أبي الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده، واستنفد

---

(١) هكذا يقول التاريخ ان حياة البديع كانت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري لم تسبقه بيوم. ولن تتجاوزه يوماً، وإن كان المؤرخون لم يذكروا له تاريخ ولادة محدداً، ولكنهم حددوا تاريخ وفاته سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، فقالوا إنه حين بلغ أشده وأربى على الأربعين، ناداه الله فلباه، وفارق دنياه سنة ٣٩٨ هـ. وقد يستفاد من هذا أن ولادة البديع كانت بهمذان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة أو قبلها بقليل. ويرجح ولادته في تلك السنة ما ورد في نسخ كتاب «تاريخ همذان» لأبي شجاع شيرويه ابن شهردار مما نقله عن بعض أصحابه ان البديع ولد في جادى الآخرة من تلك السنة، وإن كان قد ورد في بعض نسخ هذا الكتاب ان ولادته كانت سنة ٣٧٥ هـ. والفرق بين الروايتين كبير يصل إلى سبعة عشر عاماً، ولا يوافق اجماعهم على وفاته سنة ٣٩٨ هـ بعد ان أربى على الأربعين! ولا قولهم إنه فارق همذان سنة ٣٨٠ هـ وهو مقتبل الشبيبة غض الحداثة، وهما وصفان لا يناسبان صبياً عمره خمس سنوات على القول بأن مولده كان سنة ٣٧٥ هـ.

علمه. واستنزف بحره. كما ورد حضرة الصاحب أبي القاسم فتزوّد من ثمارها. وحسن آثارها. ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في أكنافهم والاقتباس من أنوارهم محافظاً على مبادئه وأصوليته. واختص بأبي سعد محمد بن منصور، فنفقت بضائعه لديه وتوفر حظه من عادته المعروفة في اسداء المعروف والأفضال على الأفاضل ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته وأراح علله في سفرته.

إلى نيسابور وصل الهمذاني وكان ذلك في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ونشر بها بزه وأظهر طرزه. وأملى أربعمائة مقامة من المقامات الهمذانية التي نحلها على لسان بطله المعروف (أبو الفتح الإسكندري) في الكدية وغيرها، وضمنها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام وجد يروق فيملك القلوب وهزل يشوق ويسحر العقول ثم شجر بينه وبين أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح بديع الزمان وعلو منزلته وقرب نجحه وبعد صيته إذ لم يكن في الحسبان والحساب أن أحداً من الأدباء والكتاب والشعراء ينبري لمباراته ويجترىء على مجاراته. فلما تصدى البديع لمساجلته وتعرض لتحكيك به وجرت بينهما مكاتبات ومباهاة ومناظرات ومناضلات وأفضى السنان إلى العنان وقرع النبع بالنبع وغلب هذا قوم وذاك آخرون وجرى من الترجيح بينهما ما يجري بين الخصمين والقرنين والمتحاكمين المتصاولين.



طار ذكر صاحب الرسائل الرائقة، والمقامات الفائقة، والأشعار الرائعة: بديع الزمان في الآفاق وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء وظهرت أمارات الإقبال على أموره وادر له أخلاف الرزق واركبه أكناف العز، وأجاب الخوارزمي داعي ربه فخلا الجو للهمذاني من مشاكسات الخوارزمي وتصرفت به أحوال جميلة وأسفار كثيرة ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلاّ ودخلها وجنى ثمارها واستفاد خيرها

وميرها. ولا ملك ولا أمير ولا وزير ولا رئيس إلا استمطر منه بنوء. وسرى معه في ضوء. ففاز برغائب النعم. وحصل على غرائب القِسم. والقى بعصاه بهراة واتخذها دار قراره. ومجمع أسبابه. وما زال يرتاد للوصلة بيتاً يجمع الأصل والفصل والطهارة والستر القديم والحديث حتى وفق التوفيق كله وخار الله له في مصاهرة أبي علي الحسين ابن محمد الخشنامي وهو الرجل الفاضل الكريم الأصيل الذي لا يزاد اختباراً. إلا زيد اختياراً. فانتظمت أحوال أبي الفضل بصهره. وتعرفت القرة في عينه والقوة في ظهره. واقتنى بمعونته ومشورته ضياعاً فاخرة. وعاش عيشة راضية.

وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله فلباه. وفارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فقامت عليه نوادب الأدب وانثلم حد القلم وفقدت عين الفضل عزتها وبكاه الأفاضل مع الفضائل. ورثاه الأكارم مع المكارم على أنه ما مات من لم يمت ذكره.



وذكرهُ أبو إسحاق الحصري في كتاب زهرة الآداب، وقد ذكر أبا الفضل الهمذاني بديع الزمان فقال: وهذا اسم وافق مسماه، ولفظ طابق معناه، كلامه غض المكاسر، أنيق الجواهر، يكاد الهواء يسرقه لطفاً، والهوى يعشقه ظرفاً. (على هامش العقد الفريد جـ ١ ص ٢٥٤).

ولما رأى أبا بكرٍ محمد بن الحسين بن دُريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً، (أي جاء بالشيء غريباً) وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، وانتخبها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها إلى الأفكار والضمائر، في معارض حوشية، وألفاظ عنجهية فجاء أكثرها تنبو عن قبوله الطباع، ولا ترفع له حجب الأسماع، توسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوهٍ مختلفة، وضروب منصوبة عارضة، بأربعمائة مقامة كدية تذوب ظرفاً، وتقطر حسناً، لا مناسبة بين المقامتين لفظاً، ولا معنى، عطف مساجلتها، ووقف مناقلتها بين رجلين، سمى أحدهما: عيسى بن هشام،

والآخر أبا الفتح الاسكندري، وجعلها يتهاديان الدر، ويتنافسان السحر، في معانٍ تضحك الحزين، وتحرك الرصين، وتطالع منها كل طريقة وتوقف منها على كل لطيفة وربما أفرد بعضها بالحكاية، وخص أحدهما بالرواية، وقد ذكره أبو نصر عبدالرحمن ابن عبدالجبار الفامي في تاريخ هراة تأليفه.



وترجم للهمذاني ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان [صحيفة ٣٩ جزء أول] ترجمة وافية ويقول انه توفي رحمه الله تعالى بهراة يوم الجمعة الحادي عشرة من جمادى الآخر سنة ثمانٍ وثلاثمائة. قال الحاكم أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد بن دوست: وسمعت الثقات يحكون أنه مات من السكتة وعجل دفنه فأفاق في قبره، وسمع صوته بالليل وأنه نبش عنه فوجدوه وقد قبض على لحيته ومات من هول القبر.

بديع الزمان والمقامات

لقد ثار تساؤل حول بديع الزمان، هل هو المنشىء الأول لهذا الفن فن المقامة؟ أو أن أدباء آخرين سابقين عليه كان لهم فضل الريادة فيه؟ وذهب فريق من مؤرخي الأدب إلى أن بديع الزمان في مقاماته حاكى عالم اللغة الكبير أبا بكر بن دريد في النماذج التي كان ينشئها، ويعلم بها الناس اللغة والتي عرفت في تراثنا العربي باسم « أحاديث ابن دريد » ولكن الموازنة الأمينة بين عمله وعمل بديع الزمان تنطق بغير ذلك، فأحاديث ابن دريد كانت تعليمية في المقام الأول، تعليمية صرفة مليئة بالغريب الشارد من الألفاظ والحوشي من الكلمات، وهي حيناً قصيدة شعر وحيناً آخر قول منثور، وقلما عمدت إلى الإطار القصصي، فإذا حدث ذلك ـ وقلما حدث ـ كانت سمات القصة فيها غامضة وقسمتها غير واضحة ،ولم يجتمع لها قط العناصر الضرورية للقصة.



الرائد الحقيقي للمقامة اذن هو بديع الزمان، وعلى منواله رسم كل كتاب المقامات الذين جاؤوا من بعده، بل إن هذا الفن الذي ابتدعه بصورته التي ظهر عليها لم يلبث أن انتقل إلى الأدب الفارسي، فأنشأ القاضي حميد الدين الكرماني مقاماته باللغة الفارسية، كما انتقل إلى الأدب العبري، فأنشأ « شلومو الحريري » مقاماته بالعبرية.

والمقامة كما تقدم هي العمل الرائد في القصة القصيرة. وهنا تلح على الذاكرة « المقامة الأسدية » للهمذاني فافتح مقامات الهمذاني وأعد قراءة سطورها، إنها قصة قصيرة، مستمدة أحداثها من طبيعة العصر وأخلاق بعض ناسه، فقد شاعت الحيلة،

وكثر الشطار الذين كانوا يقطعون الطرق بوسائل شتى لا تخلو من ذكاء، يستعينون على فعلهم بوسامتهم، وجمال محياهم، وخفة روحهم وسرعة حركتهم، وقد دربوا أنفسهم بحيث يستطيع فرد واحد أن يقطع الطريق على قافلة كاملة، وأن يخدع جمعاً من الفرسان، ويسلبهم خيلهم وسلاحهم.

ونرى أن بديع الزمان قيد نفسه براوية واحد هو «عيسى بن هشام» وببطلٍ واحد هو «أبو الفتح السكندري» ولا أعرف إلى هذه اللحظة ما سر جعل الهمذاني أبا الفتح سكندرياً، أعتقد أنه قرأ الكثير عن هذه المدينة الساحرة، وعرف ذكاء أهلها، وظرفهم، أما إذا اتصف السكندري عند بديع الزمان بالاحتيال واللصوصية فهذه طبيعة بطل المقامات وليس طبيعة أهل عروس البحر المتوسط.

أعود لأقول انه التزم السجع، واستعار أبياتاً من الشعر رصع بها مقاماته كما أسلفنا القول، وتلك جميعاً قيود لعل طبيعة أسلوب عصره قد ألزمته إياها فلم يستطع منها فكاكاً.

* * *

ونقول ان بنية القصة تبدو ملامحها في المقامة، فالهمذاني يرشح الأحداث بشيء من الوصف كالذي قدم به السبع والغلام في المقامة الأسدية التي أشرت إليها، وهو نمط متبع في بنية القصة الحديثة، كما تبدو روح المغامرة تواكب المقامة من أولها إلى آخرها، وهي سريعة الحركة، مليئة بالمفاجآت، التي تبعث على الدهشة، وفيها أكثر من عقدة تعرض الكاتب لحلها في يسر وبراعة، وهناك لون من الصراع اكتنف الأحداث، مع لعب بالعواطف، بين بثٍّ لروح الفزع حيناً، وإشاعة لروح الطمأنينة حيناً آخر، ومع براعة الكاتب في إنهاء قصته نهاية سهلة بعيدة عن التعسف بريئة من الافتعال.

ومقامات الهمذاني ـ أو بشيء من التسامح ـ أقاصيصه تعتبر في بعض موضوعاتها ـ من عيون الفكاهة في الكتابة العربية، ولقد أجرى أكثر من محاولة في

هذا السبيل، مثل ما فعل في المقامة الحلوانية، والمقامة المضيرية، والمقامة البغدادية، ولقد أوتي الهمذاني موهبة فذة فريدة في القدرة على السخرية والإضحاك، وانتزاع البسمة العريضة من الشفاه الصلبة المتقلصة والوجوه الكليسة العابسة، وإن مجرد قـراءة مقامة كالبغدادية جدير بأن يخفف عن النفوس ما بها من تشاؤمٍ أو اكتئاب أو حزن.

* * *

وإذا أردنا الحديث عن بديع الزمان بعد وفاته وبمعنى أوضح عن فن المقامة بعد بديع الزمان نقول: إنـه لم ينشط أحد من الكتاب في المرحلة الزمنية التالية للهمذاني، فيكمل هذا الفن القصصي الجديد ويدفعه إلى التطور، ولعل من أسباب ذلك أن شخصية الهمذاني الأدبية لم يكن من السهل مجاراتها أو تقليدها فالرجل يملك الثروة اللغوية الثرية بكل إمكاناتها، مع موهبة متفردة يغذيها خيال خصب، وعاطفة متأججة.. كل ذلك خلق إبداع بديع الزمان.

هاهو قرن من الزمان يمر، قرن كامل، حتى تستأنف مسيرة إبداع المقامات أو الكتابة في هذا الفن، فيكتب عبدالله بن محمد بن ناقيا البغدادي المتوفى سنة ٤٨٥ هـ عدداً من المقامات، ولكنها أجراها عن لسان البهائم، وهو بذلك أقرب إلى عبدالله بن المقفع في «كليلة ودمنة» ونتذكر في مقامات ابن ناقيا رواية إخوان الصفا في القرن الرابع الهجري «الإنسان والحيوان أمام محكمة الجن»... حقاً إن ابن ناقيا أقرب إلى ابن المقفع من حيث الموضوع، ولكنه تابع للهمذاني من حيث التسمية والإطار.

* * *

يتوفى ابن ناقيا ليأتي أبو محمد القاسم بن علي البصري الحريري الذي عاش بين سنتي ٥٤٦ هـ و ٦١٦ هـ، فيكتب مقاماته الخمسين والتي نالت شهرة واسعة في أرجاء المعمورة الإسلامية، من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب والأندلس، ولم تكن شهرتها راجعة لفضل على مقامات البديع، ولكن لأنها كانت مليئة بالألفاظ العربية الصعبة،

ومن ثم وجد فيها المعلمون وسيلة ميسورة لتعليم النشء مفردات اللغة واشتِقاقاتها، وكانت تدرس في جامعات الأندلس، ويجاز الطالبُ الذي يتم حفظها ودراستها وفهم مفرداتها.

* * *

وبالنسبة لوفاة الحريري هناك رأي أن وفاته كانت بالبصرة سنة ٥١٠ هـ، على كلٍّ كان الرجل من أعلام البلاغة والأدب واللغة والإنشاء، ومقاماته التي حاكى بها البديع أربت عليها اشتهاراً ومنفعة وقد عللنا لذلك في الفقرة السابقة، هذا وقد اتخذ له فيها شخصين خياليين: أبا زيد السروجي بطلها، والحارث بن همام راويتها. واتحدت مقامات الحريري مع الهمذاني في أكثر الاتجاهات، مثل الكدية، والأدب، والفكاهة، والسخرية، ودراسة البيئة الاجتماعية لأهل زمانه، بل إنها اتحدت في الكثير من العناوين مثل المقامة الدينارية، والمقامة الساسانية، والمقامة البغدادية والحلوانية، وغيرها.

وانتقل الإعجاب بمقامات الحريري من شرقنا العربي والإسلامي إلى أوربا، فترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ومن الطريف أن مترجمها إلى الألمانية نقلها مدخلاً في الترجمة بعض الخصائص البلاغية كالسجع واستعمال الكلمات المؤلفة من حروف منقوطة ومن حروف مهملة.

ويقتفي الحريري في إنشاء المقامات عددٌ من الأدباء، ثم يختتم القافلة الأديب المصري محمد المويلحي الذي ولد في منتصف القرن الماضي، وتوفي سنة ١٩٣٠ م، فكتب كتابه الشهير: «حديث عيسى بن هشام».

وخلاصة القول: المقامة شبه قصة، تدور حول بطل وهمي، يروي أخباره راوية، وهمي أيضاً، وبطلها رجل أحكم التحيل، وقصر همه على تحصيل الطفيف من الرزق، فأخباره تدور حول الكدية والخداع، والاحتيال والتمويه، لا تربطها وحدة موضوعية، ولا تحييها شخصية حقيقية، وإنما هي ميدان لعرض النكتة، وإظهار البراعة

في التخلص من مآزق الحياة، وإظهار المقدرة اللغوية. تجمع شوارد اللغة، ونوادر التكريب، في أسلوب مسجوع أنيق، يعجب أكثر مما يؤثر، ويلذ أكثر مما يفيد.

وتدور المقامة حول حدث عادي، يسند إلى شخص معين، هو ما يسمى في اصطلاح الفن القصصي بالبطل، كأبي زيد السروجي في مقامات الحريري وأبي الفتح السكندري في مقامات بديع الزمان الهمذاني، وبين هذا البطل «الشاطر» ورجل آخر صلة وثيقة، ومعرفة قديمة، فهو يراه في كل حادث، ويسمعه في كل مجلس، ثم يروي للناس ما عليه من خير أو شر. ذلك الراوي هو عيسى بن هشام في مقامات البديع، والحارث بن همام في مقامات الحريري. لكن المقامة خلت من العقدة، وهي أهم مميزات القصة وتجاوزت الشخصية الروائية تحلل نفسيتها وتدرس أخلاقها، فهي إجمالاً حيل تفسر حياة متكد، ألفت على صورة واحدة، وانصرف كاتبها عن الموضوع إلى الأسلوب، يعرض للموعظة، ويهتم بالنكتة المستملحة، وينثر بين سطورها الألغاز اللغوية والنحوية، وكل ذلك في لغة جزلة كثيرة الغريب، وأسلوب مسجع محكم الوزن.

وتعتبر «المقامة» المحاولة الأولى في كتابة القصة العربية (الأقصوصة)، وأول من أنشأ المقامة ـ في الراجح والمتداول ـ بديع الزمان أحمد بن الحسين الهمذاني المولود بهمذان سنة ٣٥٨ هـ، والمتوفى بهراة (بلدة أفغانستانية) سنة ٣٩٨ هـ. وكل مقامة من مقاماته ـ كما أسلفنا ـ قصة وضعها مؤلفها في إطار ثابت الشكل، فلها راوية هو عيسى بن هشام، وبطل هو أبو الفتح السكندري. وأنشأ بديع الزمان اثنتين وخمسين مقامة، بعض طرائفه من الْمُكدين أو الشحاذين الذين يستعملون الحيلة في الحصول على المال، والشطار، وقطاع الطرق وغيرهم، على أن بديع الزمان لم يهمل النزعات الثقافية والفكرية والتاريخية وهو يكتب المقامة، ومن ثم وضحت هذه الجوانب في مقاماته.

تحقيق الديوان



حرف «الهمزة»

الملك الكريم (*) [الكامل]

سل الملك الكريم إلام تبغي ... وأين؟ وقد تجاوزتَ السماءَ

أجِدَّك لا براك الله إلا ... علاءً أو عطاءً أو وفاء

ولو ذوبتني ما كنت إلا ... ولاءً أو دعاءً أو ثناء

منحتك من سَواء الصدر وداً ... يكاد لفرطِه يروي الظماءَ

أيعجزني إذا احتكُّوا هِناءً [1] ... وللكلبى إذا مرضوا شفاءَ

جريت مع الملوكِ إلى مداها ... ففتهم سناءً وارتقاء

فَضَلتهم ندى وفضلت مالاً ... ومن طلب الثناءَ رمى الثراءَ

أمَن جمع الدراهم واقتناها ... كمن جمع النهى ليسوا سواء

(*) هذه الأبيات قالها الهمذاني في مدح أبي الحارث الفريغوني أمير جوزجان وهي من بحر الكامل قافية المتواتر وصحيح الكامل:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن ... متفاعلن متفاعلن متفاعلن

ومن هذا البحر معلقة عنترة بن شداد العبسي التي أولها:

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

وهمزية شوقي في مدح الرسول صلوات الله عليه وسلم التي مطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء ... وفم الزمان تبسم وثناء

(١) هناءً: الهِناء بالكسر ما يطلى به الجرب والحكة.

يكـاد التخـت يـورق جـانبـاه ويقطـر عـوده لينـاً ومـاء
إذا خطـرت لـه قـدمـاك تسعـى إلى أعـواده أو قيـل جـاء

السادة الباقون (*)

[الكامل]

بـرق الربيـع لنـا بـرونـق مـائـه فـانظـر لـروعـةِ أرضـه وسمائـهِ
فـالترب بيـن ممسـك ومعنبر مـن نـوره بـل مـائـه وروائـه
والمـاء بين مُصنـدل ومكفـر من حسن كدرتـه ولـون صفـائـه
والطير مثـل المحسنـات صـوادح مثـل المغنّـي شـاديـاً بغنـائـه
والورد ليس بممسك ريـاه بـل يُهـدي لنـا نفحـاتـه مـن مـائـه
زمن الربيع جلبـت أزكـى متجـر وجلـوت للـرائين خير جلائـه
فكـأنـه هـذا الرئيس إذا بـدا في خلقِـه وصفـائِـه وعطـائـهِ
يعشـو إليـه المجتـدي والمجتني والمجتـوي هـو هـارب بـذَمـائـه
ما البحـر في تـزخـاره والغيـث في أمطـاره والجوْد في أنـوائـهِ
بـأجـلّ منه مـواهبـاً ورغـائبـاً لا زال هذا المجد حول فنـائـه
والسـادة البـاقـون سـادة عصره متمـدحين بمدحـه وثنـائـهِ

(*) هذه الأبيات مدح بها الخوارزمي (أبو بكر الخوارزمي) وكان عالماً، أديباً وهو غير: أبو عبدالله محمد ابن أحمد بن يوسف صاحب «مفاتيح العلوم» وغير الخوارزمي، محمد بن موسى صاحب كتاب «الجبر والمقابلة» ـ وبحر هذه القصيدة من الكامل مع استخدام قافية المتدارك.

ويل لقاضي الأرض!! (*)

[مجزوء الكامل]

يـــا مــــن يلي أمــــر القضــــا	ء وذاك مــن ســـوء القضـــاء
ويــــل لقــــاضي الأرض يــــو	م الديــن مـــن قـــاضي السماء
كم مـــــن يتيم قــــد حشــــو	ت غنـــــاه في ذاك الوعــــــاء
ولــــرب ثكلى قــــد تـــــرك	ــت بعينهـــا أثـــــر البكــــــاء
فسمنـــــت مـــــن هَـــــزل اليتيم	نعـــم ومــــن غـــــزل الإمـــاء

(*) هذه الأبيات صرخة لكل قاضٍ يتولى القضاء أن يذكر أعظم القضاة رب العرش العظيم في كل أحكامه، انه يسخر من هذا القاضي الظالم الذي يحشو جوفه ووعاءه بمال اليتيم، ويترك الدموع تنهمر من عيون ثكلى لا حول لها ولا قوة فسمن من هزل اليتيم ومن غزل الإماء.

وهذه القصيدة من مجزوء الكامل مع استخدام قافية المتواتر والذي وزنه:

متفــــاعلــــن متفــــاعلــــن	متفــــاعلــــن متفــــاعلــــن
أو متفــــاعلــــن متفــــاعلــــن	متفــــاعلــــن متفــــاعــلان
أو متفــــاعلــــن متفــــاعلــــن	متــــاعلــــن مُتفــــاعِلات

حرف «الباء»

إلى صاحب الجيش (*)

[البسيط]

عليّ أن لا أريــح العيش والقتبــا ... وألبس البيــد والظلماء واليَلَبــا (١)

وأتــرك الخود معســولاً مقبلهــا ... وأهجر الكأس تغذو شربها طربا (٢)

(*) صاحب الجيش قائد يدعى (أبو علي) على أيامه، وهذا المدح من بحر البسيط الذي وزنه:

مستفعلـن فـاعِلـن مستفعلـن فــاعلــن ... مستفعلـن فـاعلـن مستفعلـن فــاعلــن

والبسيط أحد بحور دائرة المختلف (الطويـل ـ المديـد ـ البسيـط)، وأبيـاتـه قـائمـة على تفعيلتين مكررتين، يعبر عن أولاهما بوزن (مستفعلن) وعن الأخرى بوزن (فاعلن) وقد يجيء الشطر الواحد مبنياً على التفعيلة الأولى، فالثانية فالأولى فيسمى مجزوءاً. ويقول د. إبراهيم أنيس في كتابه (موسيقى الشعر) عن بحر البسيط: «غير أن التفعيلة الأخيرة (فاعلن) لا ترد في الشعر العربي على هذه الصورة وإنما نراها في الشطر الأول (فعلن) دائماً إلا إذا كان البيت مصرعا فحين ذلك يتبع الشطر الاول في ما تكون عليه في الشطر الثاني».

وبحر البسيط منه في المفضليات وجهرة أشعار العرب (٥٢٠٠) بيت تبلغ نسبته ١٧٪ من مجموعها، وفي الـ ١٢ جزءاً الأولى من أغاني الأصفهاني (٤٥٠٠) بيت تبلغ نسبة البسيط والكامل ١٢٪ منها، وفي ديوان أبي فراس الحمداني (٢٣٠٠ بيت) تبلغ نسبة البسيط ومجزوء الكامل ٧٪، وفي ديوان رب السيف والقلم البارودي (٣٠٠٠) بيت يبلغ البسيط منها ١٥٪ ومن أشهر قصائد البسيط معلقة أعشى قيس، والنابغة الذبياني وعمرية حافظ إبراهيم.

(١) في نسخة و (المزني) بضم وفتح.

(٢) هذه القصيدة ذكرها الثعالبي وذكر البيت الأول كمطلع لها ـ و (طرباً) وجدتها في نسخة (يغدو شربها طربـا) على أن شربها فاعل وطرباً على صيغة اسم فاعل.

حسبي الفلا مجلساً والبوم[1] مطربة والسير يسكرني من مسه تعبا

وطفلة كقضيب البان منعطفاً إذا مشت وهلال الشهر منتقبا

تظل تنثر من أجفانها حبباً[2] دوني وتنظم من أسنانها حببا

قالت وقد علقت ذيلي تودعني والوجد يخنقها بالدمع منسكبا

لا دَرَّ دَرّ المعالي لا يزال لها برق يشوقك لا هوناً ولا كثبا

يا مُشرعا للندى[3] عذباً موارده بيناه مبتسم الأرجاء إذ نضبا

اطلعت[4] لي قمراً سعداً مطالعه[5] حتى إذا قلت يجلو ظلمتي غربا

كنت الشبيبة أبهى مادجت درجت وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهبا

استودع الله عيناً تنتحي دفعاً حتى تؤوب وقلباً يرتمي لهبا

وظاعناً أخذت منه النوى وطراً من قبل أن أخذت منه المنى أربا

فقلت ردي قناع الصبر إن لنا إليك أوبة مشتاق ومنقلبا

أبى المقام بدارِ الذل[6] لي كرم وهمة تصل التخويد[7] والخببا

وعزمة لا تزال الدهرَ ضاربةً دون الأمير وفوق المشتري طنبا

يا سيد الأمراء افخر فما ملكٌ إلا تمناك مولى واشتهاك أبا

إذا دعتك المعالي عُرْفَ هامتها لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا

---

(١) عند الثعالبي (والبوم مطربة).

(٢) عند الثعالبي (من أجفانها دررا).

(٣) عند الثعالبي (للمتن عذبا).

(٤) عند الثعالبي (اطلعت لي قمراً).

(٥) عند الثعالبي (منازله).

(٦) عند الثعالبي (بدار الذل كرم).

(٧) عند الثعالبي (تصل التوخيد).

أين الذين أعدّوا المال من ملكٍ — يرى الذخيرة ما أعطى وما وهبا
ما السيفُ محتطماً والسيلُ مُرتكماً — والبحر ملتطماً والليل مقتربا
أمضَى شبا منك أدهى منك صاعقة — أجدَى يميناً وأدنى منك مطلبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا — لو كان طلق المحيّا يُمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت — والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
يا مَن يراه ملوك الأرض فوقهم — كما يرون على أبراجها الشُّهبا
لا تكذبَنَّ فخير القول أصْدقه — ولا تهابنَّ في أمثالها العَربا
فما السموءَلُ عهداً والخليل قِرى — ولا ابن سُعدى ندى والشنفري غلبا
من الأمير بمعشار اذا اقتسموا — مآثر المجد فما أسلفوا نَهَبا
ولا ابن حُجر ولا الذبيان يعشرني — والمازني [1] ولا القيسي منتدبا
هذا لركبته هذا لرهبته — هذا لرغبته هذا إذا طربا

من أين تؤكل الكتف ؟ ! (*)

[البسيط]

لا يغرنك الذي — أنا فيه من الطلب
أنا في ثروة تشق — لها بردة الطرب
أنا لو شئت لاتخذ — تُ سقوفاً من الذهب
أنا طوراً من النبيط — وطوراً من العرب !!

---

(١) قرأتها في رواية (المزني) بضم وفتح.

(*) أخلاق بديع الزمان لا تزايله، فلا يشاء أن يدع المسكنة، ولا ان يكف عن السؤال ومصانعة ذوي اليسار، مصطنعاً مذاهبهم، ومتكلفاً بخلهم، حتى بعد أن حسنت أحواله، وأصبح في نعمة سابغة، وثروة طائلة.

وهذه هي أخلاق البديع صريحة، وهذه مثله سافرة، وتلك فلسفته التي تصور سخريته بالحياة، وسخريته بالناس في زمنٍ تكدست فيه الثروات في أيدي عدد قليل من الطبقات من الخلفاء ورجال =

إلى ابن قاضي هراة(*) [الوافر]

كــذا مــن شــام بــارقــة العِــذاب ومنتــه المنــى رشــف الرضــاب
يلاقــي الدهــر مصفــر الحواشي ويـرعـى العيش مغبـر الجنـاب

الدولة من الوزراء والولاة وحاشيتهم، وأمثالهم من كبار التجار وأرباب الضياع، وبقي السواد الأعظم من أبناء الشعب يعاني آلام المسغبة وضروب الحرمان مما يتمتع به هؤلاء من الحياة الناعمة المترفة، وكان الأدباء من الذين يحرصون على حياتهم ينتجعون أولئك المترفين، ويعيشون على الفتات الذي يتناثر من موائدهم.

وكان الهمذاني يعرف من أين تؤكل الكتف، فعرف كيف يسخر بأدبه ومواهبه من أولئك المترفين، وعرف الطريق الذي يصل منه إلى قلوبهم، وكيف ينفذ بفنه إلى خزائنهم ليستل بالحيلة والدهاء ما كدسوه فيها من الكنوز والثروات، وذلك بأن يقصد مجالسهم، ويتمم مجتمعاتهم، ثم يعرض عليهم من آيات علمه، ويسحرهم بغرر أدبه، حتى يحملهم على الاعتراف بنبوغه وعبقريته، وحينئذ يتشوف المجتمعون إلى التعرف على هذه الشخصية المجهولة الفذة التي سحرت ألبابهم، بما نشرت أمامهم من آيات العلم ودلائل المعرفة، وما عرضت عليهم من فنون الأدب، فلا يعرفهم بشخصه، ولكن يعرض عليهم فاقته وخصاصته، ويشكو إليهم سوء الحال وكثرة العيال، حتى ترق له قلوبهم، فيتسابقون إلى إعطائه، ويتنافسون في الإغداق عليه، ثم يولي هارباً حتى لا يفتضح أمره، ولا تعرف شخصيته، حتى تتاح له الفرص المماثلة...

تلك صورة بديع الزمان وسلوكه ومأربه في الحياة. وهي الصورة نفسها التي خلعها على بطل مقاماته «أبي الفتح الإسكندري» الذي جعله بطلاً لمقاماته، يرتاد مجالس الخاصة من السراة، والأعيان، ورجال المال، ليروي لهم من علمه، وينشدهم ما شاء من شعره ونثره الذي يرتجله ارتجالاً فيسحر النفوس، ويأخذ بمجامع القلوب، ويستخدم هذا وذاك في الكدية والاستجداء...

وقد استطاع بديع الزمان أن يجعل من هذه «المقامات» فناً أدبياً جديداً من فنون الأدب العربي عرف به، ونسب إليه. ثم قلده بعض الكتاب من بعده، فلم يبلغوا مبلغه من الإجادة والإتقان، ومن أشهر هؤلاء المقلدين أبو القاسم الحريري الذي أصابت «مقاماته» شهرة كبيرة وذيوعاً في عالم الأدب.

(*) يقال ان هذه الأبيات قالها رداً على أبيات وردت على القاضي أبي بكر الخيري من ابن قاضي هراة فكلفه بالرد عليها. وهي من بحر الوافر قافية المتواتر وبحر الوافر من البحور ذوات التفعيلة المتكررة، المركبة من سبعة أجزاء (٤٢ حرفاً) وينبني هذا البحر من وزن (مفاعلتن) ست مرات، ثلاث منها في شطر، وثلاث أخرى في شطر:

مفــاعلتن مفــاعلتن مفــاعلتن مفــاعلتن مفــاعلتن مفــاعلتن

أأن قدح الصبا في الأفق نارا ... تركت الجفن مخضلَّ السحاب
أأن سجع الحمام طربت وجدا ... وعادتك العوائد من رَباب
أوجداً سرْع هذا واكتئابا ... حلفت لتوكلَن بغير ناب
ألم أنذرك عن طلب الصبايا ... ألم أخبرك عن نكدِ التصابي
حياءك يا حمام وبعضَ هذا ... لعل جميع ما بك بعض ما بي
فقدت حمامة وفقدتُ ليلى ... وأسود مثل خافية الغُرابِ
أليس الشيب أغزاني جيوشاً ... فآبت بالسبايا من شبابي
أليس الدهر غبر في عذاري ... بوفديه وذلك من مُصابي[1]
فعللني بأعذب من شرابِ ... وأخلفني بأكذب من سرابِ
وقاريّ القميص له ذماء ... تقطع دونه مهج الضَّبابِ
حذاريّ الجناح أرقت فيه ... لغير حزازة ولغير عابِ
ولما أسمع القاضي نداء ... وأعجلني المثول عن الجوابِ
حباني من قريضك عقد در ... وأسمعني به فصل الخطابِ

ومن الوافر قول الحطيئة الشهير:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيدُ

ومنه معلقة عمرو بن كلثوم التي مطلعها:

ورثنا المجد قد علمت معدّ ... نطاعنُ دونهُ حتى يبينا

وقصيدة (سلوا قلبي) لأحمد شوقي التي مطلعها:

سلوا قلبي غداة سلا وتابا ... لعل على الجمال له عتابا

وقول المجنون:

امرُّ على الديار ديارَ ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وقول عنترة:

وإن اكُ أسوداً فالمسك لوني ... وما لسواد جلدي من دواء
ولكن تبعدُ الفحشاء مني ... كبعدِ الأرض عن جوِ السماء

(١) في النسخة المطبوعة (صعابي) ولا يخفى ما في القافية من قلق ونرى أن الأفضل (وذلك من مصابي) كما صوبنا.

نسيبـاً لـو تجسم مجتنـاه ... لضمن حليـة صـدر الكعـاب
ومدحـاً لـو يصيـب على المساوي ... لعـدن مسـاعيـاً وشـك انقـلاب
ولفظـاً كنـت أحسبـه شرودا ... تحاوَلُ دونـه عصم الهضـاب
ومعنى كنـت أعهـده نفـورا ... عن الألبـاب أحـذر من غُـرابِ
قـواف تُستطـاب إذا أعيـدت ... وحسبـك مـن معـاد مُستطـابِ
وليـت نشيـدهـا وجلـوت منهـا ... على الأسماعِ أبكـار النقـابِ
وظلـت أذوب في يـدهـا اهتـزازا ... وكـدت أشـق مـن طـرب ثيـابي
وصرت إذا سردت البيـت منهـا ... لفرطِ العجب أخـرج مـن إهـابي
فظنـك في سـواي وتلـك حـالي ... ووهمـك في الجميـعِ وذاك دابي
وكُلفـت الجـواب فقلـت غُنم ... لعمـر أبيـك لم يـك في حسـابي
ولـولا مـا أؤكـد مـن ذمـامِ ... يقـل لـه نشـاطـي وانتـدابي
أخـا العشريـن أنـت مـن المعـالي ... بمنـزلـةِ الْحُسـامِ مـن القـرابِ
تـراضعنـا معـاً ثـدي الليـالي ... وذلـك بيننـا رحـم انتسـابِ
فـرأيـك في مطـالبتي إذا مـا ... نشطـت فـإنـه عين الصـوابِ[1]

---

(١) قلنا في المقدمة ان الهمذاني انتهى به المطاف إلى مدينة «هراة» فألقى بها عصا التسيار، وهي المدينة العظيمة الحافلة المشهورة، من مدن خُراسان مدينة لا أجل ولا أعظم ولا أفخر ولا أحسن، ولا أكثر أهلاً منها، وفيها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، وخيرات كثيرة، محشوة بالعلماء، ومملوءة بأهل الفضل والثراء.. واتخذ البديع «هراة» دار قراره، وصاهر بها أحد وجوهها، وهو الفاضل الكريم الأصيل أبو علي الحسين بن محمد الخشنامي، وانتظمت أحواله بمصاهرته، واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة.

أخوان (*)

[مجزوء الكامل]

أخـــوان مـــــن أمٍّ وأبْ لا يفتران عـــن الشغَـــبْ
مــــا منهما إلا ضـــــن يشكـــو معـــانـــاة الـــدَّأبْ
وكلاهمـــا حنـــق الفـــؤا دِ على أخيـــه بـــلا سبـــبْ
يغـــريهما بـــالشرِّ سبـــط الريـــح وابـــن أبي الخشـــب
مــــا منهمـــا إلا بـــــه شرط اليبـــوسـة والْحَـــرَبِ
فلنـــــــا بصلحهما ردى ولنـــــا بحربهما نشنـــــبْ
يـــــا أيهـــا الملـــك الذي في كـــل خطـــب ينتـــدبْ
أخـرجـــه إخـــراج الذكـــي فقـــد وصفـــت كما وجـــبْ

أحبُّ النبيَّ وأهل النبي (**)

[المتقارب]

يقـــولـــون لي لا تحـــب الوصيَّ فقلـــت الثرى بفـــمِ الكـــاذبِ
أحـــــب النبي وأهــــــل النبي وأختـــص آل أبي طـــالـــبِ
وأعطـي الصحـابــة حـــق الولاء وأجـــري على السَّنـــن الواجـــبِ

(*) هذه الأبيات مُعمى كتبه للصاحب في حجر الرحى وهو من مجزوء الكامل قافية المتواتر - ومن أشهر قصائد الكامل قصيدة المرحوم علي الجارم: (بغداد يابلد الرشيد)، ومعلقة عنترة بن شداد العبسي، وقصيدة شوقي في نكبة دمشق السورية، ومعلقة لبيد بن ربيعة، وقصيدة شوقي الهمزية في ذكرى الهجرة النبوية.

(**) هذه القصيدة في حب الرسول ﷺ وأصحابه وأهله وبالذات آل أبي طالب، يرجو فيها الشفاعة - وهي من بحر المتقارب قافية المتدارك وبحر المتقارب مبني على (فعولن)، ثم إنها قد تكرر ثماني مرات، في كل شطر أربع، فيسمى حينئذ تاماً، وقد تكرر ست مرات فقط في كل شطر ثلاث مرات فيسمى مجزوءاً. ومنه قول الحطيئة يستعطف عمر بن الخطاب:

تحنـــــن عليَّ هــــداك المليـــك فـــإن لكـــل مقـــامٍ مقـــالا
ولا تـــأخـــذني بقـــول الوشـــاة فـــإن لكـــل زمـــانٍ رجـــالا

وقصيدة الشابي:

إذا الشعـــب يـــومـــاً أراد الحيـــاة فلا بـــد أن يستجيـــب القـــدر

فإن كان نصباً ولاء الجميع فإني كما زعموا ناصبي
وإن كان رفضاً ولاء الوصي فلا يبرح الرفض من جانبي
فللّه أنتم وبهتانكم ولله من عجب عاجبِ
فلو كنتم من ولاءِ الوصي على العجب كنت على الغاربِ
يرى الله سري إذا لم تروه فلم تحكمون على غائبِ
ألا تنظرون لرشد معي ألا تَهتدون إلى الله بي
أيرجو الشفاعة من سبهم بل المثل السوء للضاربِ
أعز النبي وأصحابه فما المرء إلا مع الصاحبِ
حنانيك من طمع بارد ولبيك من أمل خائبِ
تمنوا على الله مأمولكم وخُطُّوه في الْجَمد الذائبِ
نعم قبّح الشتم من مذهب وشتّامة القومِ من ذاهبِ
له في المكارمِ قلب الجبانِ وفي الشُّبهاتِ يد الخاطبِ

قُبحاً لهذا الزمان!!(*) [المنسرح]

قبحاً لهذا الزمان ما أربُه في عمل لا يلوح لي سببه
ماذا عليهِ من الكرامِ فما تظهر إلاّ عليهمُ نوبه

(*) هذه القصيدة كتبها في صديقه (إسماعيل الدبراني) وقد حبس وهي من بحر المنسرح قافية المتراكب - وهو من دائرة المشتبه التي تضم (السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث) وقيل سمي المنسرح لتسراحه وسهولته وأجزاؤه ستة هي:

مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن

وبحر المنسرح قليل بين دواوين الشعراء العرب ففي ديوان جرير ٣٩ بيتاً فقط منه، وعند الفرزدق لا نجده مطلقاً، وعند أبي العتاهية يشكل ٧ ٪ من الديوان، وعند أبي نواس يشكل ٨ ٪ من ديوانه، وفي ديوان البحتري نجده مع المتقارب يشغل ٤ ٪ منه، وفي ديوان المتنبي يشكل ٧ ٪ من إجماله، وفي ديوان البهاء زهير نجد المنسرح يشكل مع المجتث والسريع والمتقارب ٢٪ من الديوان، وعند مهيار الديلمي نجد المنسرح مع المقتضب يشغل ٣٪ منه، وفي ديوان ابن معتوق نجد المنسرح مع السريع يكشلان ١٪ من الديوان، وديوان البارودي ٢٪ منه بحر المنسرح، وديوان الحمداني نجده مع

ألم يجد في سواكم سَعة … ممن يسوِّي برأسهِ ذنبه
لا يعرف الضيفُ أين منزله … ولا يرى المجد أين منقلَبه
ما لي أرى الحر ذاهباً دمه … ولا أرى النذل ذاهباً ذهبه
أفلح من لؤمه وسيلته … وليس ينجو من جُرمه حسبه
من شاء أن لا يناله زمن … فليكن العرض جُلّ ما يهبه
أراحنا الله منك يا زمنا … أرْعنَ يصطاد صقره حَزَبُه

السريع يشكل ٣٪ من إجماله، وفي رواية مجنون ليلى لشوقي لا يوجد أي بيت من المنسرح أيضاً مسرحية مصرع كليوبترا لشوقي ورواية العباسة لعزيز أباظة لا يوجد بها أي بيت من المنسرح وديوانا الجارم وعزيز أباظة (أنات حائرة) لا يوجد بها أي بيت من المنسرح وفي ديوان رامي لا يوجد المنسرح مطلقاً، وعند محمود غنيم في ديوانه (صرخة في واد) ٢٦ بيتاً من المنسرح، وعند علي الجندي في ديوانه (أغاريد السحر) ٢٪ من المنسرح وفي شعر العقاد يشكل المنسرح مع الرجز مع الخفيف مع مجزوء الوافر ١٪ من شعره، ولا يوجد المنسرح في ديوان (هكذا أغني) لمحمود حسن إسماعيل.

- ويقول الثعالبي انه كتب هذه القصيدة في إسماعيل بن أحمد الدبراني وفيمن جمعه وإياهم الحبس وهو من العمال وهذه هي الأبيات التي ذكرها الثعالبي:

قبحاً لهذا الزمان ما أربه … في عملٍ لا يلوح لي سببه
ماذا عليه من الكرامِ فما … تظهر إلاّ عليهمُ نوبه
ألم يجد في سواكم سعة … ممن يسوى برأسهِ ذنبه
لا يعرف الضيف أين منزلهُ … ولا يرى المجد أين منقلبه
ما لي أرى الحر ذاهباً دمهُ … ولا أرى النذل ذاهباً ذهبه
أراحنا الله منك يا زمنا … أرعن يصطاد صقره حربه
يا ساغباً جائع الجوارح لا … يسكن إلاّ بفاضل سغبه
يا ضرماً في الانامِ متقداً … والجود والمجد والنهى حطبه
يا خاطباً ساكباً وليس سوى … نعي فتى أو فتوة خطبه
يا صائداً والعلى فريستهُ … وناهباً والجمال منتهبه
يا سادتي لا تكن عضامكمُ … كعضة الدهر إن يهج كلبه
فالدهر لونان لا يدوم على … حال سريع بالناسِ مضطربه
أتى بشرٍّ لم نرتقبه كذا … يأتي بخيرٍ وليس نحتسبه

[انتهت رواية الثعالبي]

يا ساغباً جائع الجوارح لا ... يسكن إلا بفاضلٍ سغبه
يا ضرماً في الأنامِ متقداً ... والجود والمجد والندى حطبه
يا صائداً والعلى فريستُه ... وناهباً والجمال مُنْتَهَبه
يا سادتي لا تكن عظامكمُ ... لعضة الدهر إن يَهج كلبه
فالدهر لونان لا يدوم على ... حال سريع بالناسِ مضطَرَبه
أتى بخيرٍ لم تَرتقبه كذا ... أتى بشرٍ وليس تحتسبُه
رعاكم الله وهو حسبُكُم ... من زمنٍ لم يِغبّنا عَجَبه
ما أقرب النصر من رجائكمُ ... إن يشأ الله ترتفع حُجُبه

يا آفةً حلّت (*) [ثاني السريع]

وابأبي أنت وذاك الشنب ... والويل من غنجك لي والْحَرَبْ
يا شُغلاً جاء ولم يُنتظر ... وآفةً حلّت ولم تُرتقب
لم تَضْنَ ألحاظك هذا الضنى ... إلا ومنهن (1) لِحَيْني سبب

الكرسي (*) [الكامل]

أخوان مصطلحان صلح عتابِ ... متعانقان تعانق الأحبابِ
كل يباعد عن أخيه رأسه ... دَلاً عليه أي بأني الآبي
يحكيها في الشكل لام لفٍ جرت ... في خطة يد حاذق الكُتاب
حتى إذا أكرمت منا واحداً ... فله الإهانة لا من استيجاب
شيء يسرك عكسه ويسرني ... إن كنت منفذه يدى أصحابي

(*) هذه القصيدة من ثاني السريع قافية المتدارك.

(١) في نسخة (ومنهن لحيني سبب) وردت (وفيهن لحيني سبب)

(* *) وهو معمى في الكرسي، من بحر الكامل قافية المتواتر.

السفينة (*) [مجزوء المتقارب]

وشاكية تكذبُ تئن ولا تتعبُ
مؤخرها مخرج مقدَّمها سببُ
وأولها حية وآخرها عقرب
تعد ليوم القرى وساعةَ ما تغضب
وتُركب لكنها إلى راحة تركب
وتذهب لكنها إلى الحين لا تذهب
وتكتب لكنها بلا قلم تكتب

في علي (**) [المجتث]

كصدغه إذ تعقرب وقده إذ تنصب
وبعد ذلك ظهري من الهوى قد تحدب

(*) هذه القصيدة قالها الهمداني ويقال انها في «النعل» أو «السفينة» وهي من مجزوء المتقارب قافية المتدارك.

(* *) وهو من بحر المجتث ووزنه:

مستفع لُنْ فاعلاتن مستفع لن - فاعلاتن

ومنه قول الشاعر:

طاب الهوى لعميده لولا اعتراض صدوده

وهذان البيتان قالها الشاعر في مدح (علي) ولا نعرف إذا كانا في مدح الإمام علي كرم الله وجهه أم غيره.

الوسادة (*) [مجزوء الرجز]

مـا طَفْلـة ليس سـوى إهـابها	يفـرشهـا المرء ولا يحظـى بها
تُلاصِـق الخد وذا مـن دابها	شبعـى وإن لم تعتلـف بنـابها
قـد مـلأت حـاشيتي جـرابها	أُخـرج وإلا كلنـا قمنـا بها

الصفو بعد الكدرِ (**) [السريع]

مـولاي إن عُـدْت ولم تـرضَى لي	أن أشرب البـارد ولم أشربِ
إمتـط خـدي وانتعـل نـاظـري	وصـد بكفـي حُمَـة العقـربِ

(*) وهو معمى في الوسادة من مجزوء بحر الرجز، قافية المتدارك، وجوازات بحر الرجز كثيرة وهو أقرب البحور من النثر. لذلك سموه حمار الشعراء فأجازوا في (مستفعلن) الخبن والطي والخبل. ويتكون هذا البحر من مستفعلن مكررة ست مرات في كل شطرٍ ثلاث تفعيلات ويسمى حينئذ تاماً، وربما تكون من مستفعلن مكررة أربع مرات في كل شطر تفعيلتان، ويسمى حينئذٍ مجزوءاً. وقد يتكون من مستفعلن مكررة ثلاثاً، فيكون كأنه شطر من البيت التام، ولذا يسمى مشطوراً، فإذا رأينا البيت مكوناً من مستفعلن مرتين فذلك هو المنهوك.

ويستخدم بحر الرجز في نظم العلوم والفنون ولعل أشهر ذلك الفية العلامة الأندلسي ابن مالك في النحو والصرف وهي تعرض للقواعد النحوية في أرجوزة يسهل على الطلاب حفظها، كذلك أرجوزة أبان اللاحقي للعبادات الإسلامية وهذا البحر نجده في شعر ابن دريد صاحب الجمهرة، ومهيار الهزلي، وابن أبي ربيعة، واستخدمه شوقي بكثرة في مصرع كليوباترا، وبشار بن برد،

(**) هذه الأبيات كتبها إلي علي بن مسكويه رسول فارس من رقعة عقبها بهذه الأبيات وهي من بحر السريع قافية المتدارك.

ويقال ان ابن مسكويه أجاب الهمذاني على هذه الأبيات بأبيات من نفس الوزن والقافية قائلاً:

يـا بـارعـاً في الأدب المجتنـى	منـه ضروب الثمـر الطيـب
لـو قلـت ان البحـر مستغـرق	في بحرك الفيـاضِ لم أكـذبِ
ولـو تبـوأت محـلاً لَما	نـزلـت إلا منـزل الكـوكـب
أحـدتني الشعـر وأعتبتني	فيـه ولم أذمـم ولم أعتـب
والعـذر يمحـو ذنـب فعّـالـه	فكيـف يمحـوه ولم يـذنـب
أنـا الذي جئتـك مستغفـراً	مـن زلـة لم تـك مـن مـذهبي

تـالله مــا أنطــق عــن كــاذبٍ | فيــك ولا أبـــرق عن خلـــبِ
فـالصفـــو بعـــد الكـــدر المعتري | كـالصحـوِ بعـد المطـرِ الصيّــب
إن أجتن الغلظـــة مـــن سيـــد | فـالشـوك عنـد الثمــرِ الطيــب
أو نقـــد الزور على نـــاقـــدِ | فـالخمـر قـد تُعصـب بـالثيــبِ

سلاب غريب (*) [المتقارب]

فـــؤادك أيـــن. سبـــاه. بماذا | بمقلتـــه. مَـــنْ. غـــزال رَبيـــبْ
سِلاَباً. نعم. أين. وسـط الطـريـق | متى. اليـوم. هـذا سلاب غـريـب

إلى القبر (**) [الطويل]

عجبـت لمفتـــون يخلــف بعـــده | لوارثه ما كان يجمع مـن كسـبِ
حـووا مـا لـــه ثم استهلـــوا لقبره | بيادي بكاء تحتـه ضحِـكُ القلـب

وأنـــت لا تمتـــع مستـــوهبـــاً | مـــالاً فهـب ذنبـاً لمستـوهـــب

ويلاحظ أن كلمة (جئتك) في البيت السادس جاءت في بعض الروايات (آتيك) والمعنى واحد.

(*) البيتان ترجمة لمعنى فارسي قرأه وترجمه وهما من ثاني المتقارب قافية المترادف.

ونرى أنه لو قال بعد قوله سباه (ومن ذا. غزل. بماذا. بلحظ مصيب) لكان أنسب من ناحية المعنى وذلك لا يخفى عل كل ذي مسكةٍ في الأدب واللغة.

(**) هذان البيتان من بحر الطويل، وبحر الطويل يتكون من تفعيلتين متكررتين، وتتكرر فيه التفعيلة أربع مرات في كل شطر مرتين، أولاهما يعبر عنها بوزن (فعولن)، والأخرى يعبر عنها بوزن مفاعيلن وأحياناً يحذف من عروض الطويل الخامس الساكن ويسمى القبض وقد يكون الضرب مقبوضاً وكذلك العروض، ويحذف السبب الأخير من الضرب فتكون مفاعيلن (مفاعي) ويسمى ذلك بالضرب المحذوف.

ومن أمثلة الطويل قصيدة المتنبي التي مطلعها:

وفتـــانـــة العينين، قتـــالـــة الهوى | إذا نفحـت شيخــاً روادهـا شبــا

وقصيدة بشار التي منها:

إذا أنـــت لم تشرب مِـــراراً على القـــذى | ظمئـــت وأي النـــاس تصفـــو مشـــاربـــه

وقصيدة قيس بن الملوح:

حرفا «التاء» و «الثاء»

في رثاء الخوارزمي (*)

[مجزوء المتقارب]

حنانيك من نفسٍ خافت ... ولبيك من كمدٍ ثابت
أبا بكرٍ اسمع وقل كيف ذا ... ولست بسمعة الصائت
تحملت فيك من الحزن ما ... تحمله ابنك من صامت
حلفت لقد مت عن معشرٍ ... غبيين عن خطر المائت
يقولون أنت به شامت ... فقلت الثرى بفم الشامت
وعَزّت عليَّ معاداته ... ولا متدارك للفائت
وقال الأنام خلا الجوّ لي ... لعمري ولكن على عانت
أبيض ولكن إلى عاقرٍ ... وأصفر لكن على ساكت (1)

يقولون ليلى بالعراق مريضة ... فيا ليتني كنت الطبيب المداويا

وقول الحمداني (أبو فراس الحمداني):

سيذكرني قومي إذا جد جدهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدرُ

ومعلقة امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللّوى بين الدَّخول فَحَومل

(★) هذه القصيدة من مجزوء المتقارب قافية المتدارك، وقالها في رثاء أستاذه (أبو بكر الخوارزمي) العالم، الأريب ولعلنا نلاخظ مدى الصدق الفني في هذه الأبيات التي تبرهن على مدى اعتزاز الهمذاني بأستاذه الجليل.

(1) هذا البيت الأخير تضمن هو والبيت الذي قبله حكمة مشهور أو مثلاً عربياً شائعاً في تراثنا (خلا لك الجو فبيضي وأصفري).

عجباً من رجلٍ ![*] [الرمل]

عجباً من رجلٍ ذي سَعة ... تأخذ الأيام من منسأتهْ

يحرس المال ولا يأكله ... نظر البازي على مربأته

إنما يجمع ما يجمعه ... راغم الأنف لبعلِ امرأته

(*) الشاعر المحنك هو من أعطى خلاصة تجاربه وممارساته للآخرين من خلال إبداعه الشعري وهذا ما نلاحظه في هذه الأبيات عن ذلك الجشع الأحق الذي يحرس المال طوال عمره ولا يأكله، إنه يجمع ما يجمعه كانزاً إياه، راغم الأنف، ليس له، أو لأولاده، بل لمن سيقترن بزوجته بعد وفاته وهذا جزاء الشحيح البخيل، الذي يكنز الذهب والفضة، ويجعل يده مغلولة إلى عنقه.

والأبيات من بحر الرمل قافية المتدارك. وتقوم أبيات بحر الرمل على سببين خفيفين، بينهما وتد مجموع ويوزن (فاعلاتن)، وقد يكرر ست مرات فيكون تاماً أو أربعاً فيكون مجزوءاً ويقول الشهاب عنه:

إن رملتم نحو ظبيٍ نافر ... فاستميلوه بداعي أنسه

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن ... ولقد راودته عن نفسه

ويقول الشاعر صفيّ الدين الحلي المتوفى في ٥٧٠ هـ عن بحر الرمل:

رمل الأبحر ترويه الثقاتُ ... فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتُ

له عروضتان: الأولى فاعلن ... وضروبها ثلاثة فاعلاتن وفاعلان

وفاعلن والثانية: مجزوءة فاعلاتن

ولها ثلاث ضروب فاعلاتان وفاعلاتن وفاعلن

ومن تام الرمل قول ابن أبي ربيعة:

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما تجد

وقول مهيار الديلمي:

يا لواة الدين عن ميسرةٍ ... والبخيلات وما كنَّ لِئامَا

وقول ابن حمديس الصقلي:

كل حسن كامل في خلقها ... ليتها تنجو من العين بعاب

وقول شوقي:

أين من عينيَّ هاتيك المجالي ... يا عروس البحر يناحلم الخيال

ومن مجزوء بحر الرمل قول السلكة أم سليك:

طاف يبغي نجوة ... من هلاك فهلك

ليت شعري ضله ... أي شيء قتلك

أقام الناس جمعتهم (*) [الوافر]

حتتّ جوامعي يا جمع حتاً	بسوف وأختها وإلى وحتى
ألم تحلم بذكر فتى موال	مُحب أو بذكر فتى تفتى
منحتك من سواء الصدر وداً	يبت عزائم السلوانِ بتا
ونودي للصلاة فقمتُ أسعى	فما اسطعتُ القيام ولا تأتى
أقام الناس جمعتهم وعدنا	بقلب فته ذكراك فتا
كأن الله حين سعى وعدنا	تكلم ان سعيكم لشتى

الشيب (**) [ثاني المتقارب]

نذير ولكنه صامت	وضيف ولكنه شامت
واشخاص موت ولكنه	إلى من يودعه ثابت

كيف أصبحت؟ (***) [السريع]

أصبحت في البيت بلا بيتِ	أقلّب الكف على ليتِ
وصاحب البيت يريد الكرا	وليس في البيت سوى البيتِ

= وقول عدي بن زيد:

أيها الركب المحبون	على الأرض المجدون
وكما أنتم كنا	وكما نحن تكونون

(*) هذه الأبيات من بحر الوافر قافية المتواتر ويتضح منها ثقافة الهمذاني النحوية والدينية مع خفة في الظل.

(**) في صدق وخبرة عن الهمذاني عن الشيب ذلك النذير الصامت، الضيف الذي يأتي لنا ولكنه شامت، انه أشخاص موت ولكن إلى من يودعه ثابت، والبيتان من ثاني المتقارب قافية المتواتر.

(***) سأل رجلٌ بديع الزمان الهمداني: (كيف أصبحت؟) فأجابه بهذين البيتين، لقد أصبح في البيت بلا بيت، يقلب الكف على ليت، وهما من بحر السريع، قافية المتواتر.

يقول د. أمين السيد عن هذا البحر: ان لهذا البحر صلة صوتية واضحة ببحر الرجز. (مستفعلن مستفعلن مستفعلن) مرتان، وإن كان هو البحر الأول ويتلوه بحر المنسرح الذي قال عنها د. أنيس أنهما يوشكان على الانقراض من شعرنا العربي الحديث.

= ويرى د. أنيس أن ما روي من هذا الشعر في القديم قليل جداً، ووردنا أن القليل الذي روي من هذا البحر ينتسب لفحول شعراء العربية، ففي مجموعة المفضل الضبي فقط نجد: قصيدة لامرىء القيس، وقصيدتين للحارث بن حلزة وقصيدة للمرقش الأكبر، وقصيدة للسفاح بن بكير، وقصيدة لأبي قيس بن الأسلت - أضف لذلك شعراء آخرين غير أصحاب المفضل السابقين منهم: بشار والنواسي حين حبس الرشيد البرامكة وغيرهم من الشعراء. ويعلل د. أنيس قلة نسبة شيوعه في شعرنا الحديث أن شعراءنا المحدثين أضحوا في حالة نفور منه ومن موسيقاه، وقد التقيت بأكثر من شاعر من شعرائنا الفحول وعرضت عليهم هذا الرأي فلم يوافقوا على هذا الرأي، وقالوا ونحن معهم أنه وزن شعري أصيل ويكفي أن موسيقاه تكاد تنسجم مع موسيقى الكامل والرجز وهما من أشهر بحور شعرنا العربي، والقارىء للشعر العباسي والأموي والحديث يجد عدم إهمال لهذا البحر، ولدينا إحصائية من الدكتور أنيس نفسه عن بحر السريع في تراثنا: في ديوان جرير ٣٩ بيتاً، عند أبي العتاهية يشغل هذا البحر ٤٪ من ديوانه، وعند النواسي يشغل ٨٪ من ديوانه، وعند البحتري يشغل ٣٪، وعند المتنبي يشغل ١٪، وعند البهاء زهير ٢٪، وعند مهيار الديلمي يشغل ٦٪ وعند ابن معتوق يشغل ١٪ من ديوانه، وعند حافظ يشغل ٢٪ من شعره، وفي مسرحية مجنون ليلى لشوقي نجد ٦ أبيات، و ٦ أبيات أخرى نجدها منه في مصرع كليوباترا لشوقي أيضاً، وفي العباسة لعزيز أباظة ٢٪ من أبياتها من بحر السريع، وعند الجارم يشغل بحر السريع ٣٪ من شعره، وعند محمود غنيم في ديوانه صرخة في واد نجد ٢٥ بيتاً من السريع، بينما لا نجده عند عزيز أباظة في أنات حائرة، والملاح التائه، وديوان رامي وفي ديوان محمود حسن إسماعيل (هكذا أغني) يشغل ٧٪ منه، ويشغل نفس البحر ٥٪ من شعر العقاد، و ٥٪ من شعر البارودي، و ٢٪ من شعر الحمداني، بينما لا نجد في أغاريد السحر لعلي الجندي وفي الـ ١٢ جزءاً الأولى من أغاني الأصفهاني نجد أن ٣٪ مما تحويه من أشعار من بحر السريع ويشكل نفس البحر ٣٪ من شعر المفضليات، و ٤٪ من شعر جمهرة أشعار العرب للقرشي.

ويقول د. أنيس انه يشعر باضطراب في الموسيقى حين ينشد شعراً من هذا البحر، ورأينا أن شعور سيادته شعور خاص، شعور شخصي بحت لا يستطيع أحد أن ينكره عليه، لكن ما نؤمن به أن مسائل العلم لا تقاس بالأذواق، فهل ينقص من قيمة العمل الفني أنه لا يروق لإنسان؟!! ويؤكد الدكتور أنيس أن هذا البحر سينقرض!! ومعه بحر المنسرح!! ويقول د. أمين السيد معنا انه سمع الكثير من القصائد تسير على بحر السريع والمنسرح من شباب الشعر العراقي والسوري والأردني، بل لقد استمعت شخصياً إلى شعراء من السعودية وتونس والمغرب يستخدمون السريع والمنسرح بشكل جيد، وأمامي ديوان [ثلاث ألحان مصرية] لشعراء ثلاثة هم الدكاترة: أحمد درويش وحامد طاهر وحماسة عبد اللطيف وكانوا وقت خروج هذا الديوان شباباً نجدهم يستخدمون هذا البحر بجودة منقطعة النظير، ويرى د. بدوي المختون في كتابه (دراسات نظرية وتطبيقية في علمي العروض والقافية) أن =

عندما يفتن القلب (*)

[مجزوء الرمل]

فتنـــت قلبـــي فتـــاة   صيـــرت عيني غيثـــا
أشبهـــت في الْخَلَــقِ ظبيـــا   وحكـــت في الخلـــق ليثـــا

هذا البحر سيظل على ألسنة الشعراء ولن ينقرض كما قرر شعراء معاصرون حتى عن ألسنة أولئك الذين لم يدرسوا أو يعرفوا مصطلحات العروض والقافية.

ويرى الدكتور أنيس أن ما نظمه بعض الشعراء المحدثين من شعر قليل على وزن السريع إنما هو تقليد لقصائد أعجبوا بها فنسجوا على منوالها ولعلهم قد وجدوا جهداً وعنتاً في ذلك.

وردنا على ذلك ما سمعناه من أكثر من شاعر نثق في مقدرتهم العروضية أن لسانهم ينطلق به لا شعورياً حتى ينتهي من قصيدته أحياناً دون أن يدرك عنوان البحر الذي ينتمي إليه قصيده.

(*) عجباً لهذا القلب الذي فتن بفتاة جعلت العين تبكي دموعاً منهمرة مثل الغيث، انها في ملامحها وجمالها تشبه الظبية، أما في أخلاقها فتشبه الليث، وقد يحتج البعض على هذا التصوير الأخير ولكن هذا هو ذوق الشاعر وتصوره.

والبيتان من مجزوء الرمل، قافية المتواتر.

حرف «الجيم»

يا سيد الأمراء [*]

[الكامل]

حــرج على الأيـــام إن لم تحـرج — وعليـك يـا مكـــواة إن لم تنضجـــي
ليسـت بـدار معـرج لـك فـارتحـل — كم ذا المقـام ولا بعُشـك فـادرُجـي [1]
يــا سيـــد الأمـــراء إن أرعيتني — أذن الخليّ سمعت لوعـات الشجـي [2]
لمـا سمـوت إلى المعسكـرِ ضـاربـاً — في كـل عـزم كـل سهـم مفلـج
ضَمِنـت لـك الأقـدار نصراً عـاجلاً — واستقبلتـــك بخـاتـم الفيـــروزج
وطلعـت أسعـد طـالـع في مـوكـب — حسـدت مطـالعـه بنـاتُ الأبـرُج
فيـه مـن الأمـراء كـل مكلـل — ومعصـــب ومطـــوّق ومتـــوج
يزهى مـن الشيـخ العميـد وطلعـة الـ — ـشيـخ الأمين بكـل أبيـض أبلـج
سيفـي عقـابـك للعـدو المعتـدي — ويَـدي سحـابـك للـوليّ المرتجي
خَـرَجَ الأميرُ وَمِـنْ وَرَاء رِكَـابـهِ — غَيري وَعَـزَّ عليّ «أنْ» لَـمْ أخْـرُجِ

(*) هذه الأبيات يمدح فيها الهمذاني الأمير صاحب الجيش وهي من بحر الكامل قافية المتدارك. وذكر ياقوت بعضاً منها.

(١) هذا البيت يتضمن المثل القائل (ليس بعشك فادرجي).

(٢) هذا البيت يتضمن المثل القائل (ويل للشجيّ من الخليّ).

أصبحــت لا أدري أأدعــو ضغمشي … أم بكتكنى[1] أم أصبح بنـزعـج[2]
وبقيت لا أدري أأركـب أبـرشي[3] … أم أدهمـي أو أشهبي[4] أم ديـزجـي
يــا سيــد الأمــراء مــا لي خيمــة … غير السماء إلى ذراهـــا ألتجـــي
كنفـي بعيري إن ظعنــت ومفــرشي … كمي وجنـح الليـل مطـرح هـودجي
فلـو ان قيسي حاضرون وخنـدفــي … ولو ان أوسي شاهدون وخـزرجي[**]
لحثثــت قــدام المواكــب مــوكبي … ركضـاً وقُـدام المراكـب مُسْرَجـي
مثلي مــع الزمــــن البهيم وبخلـــه … وبليــغ آمــــالي وفـــرط تغنجـــي

---

(١) قرأتها في رواية: (بكتكيني).

(٢) في نسخة (بنزعج) وقرأتها في (يتيمة الدهر) للثعالبي (ببزغج) وعلى كل الحالات قد صح المثل الحجازي باللحن العامي: (جلد ما هو جلدك جره على الشوكِ) وجاء في الوافي بالوفيات ص ١٥ طغمشي وبكتكني ونذغـج: أسماء أعلام لدواوين مخصوصة للصفدي.

(٣) الأبرش من الخيل ما في شعره نكت صغار تخالف سائر لونه بها وضح.

(٤) الأشهب من الخيل: ما في شعره بياض غلب على السواد أو بياض يخالطه سواد والأنثى شهباء - والأدهم الأسود والديزج نوع من الخيل.

(**) هذه الأبيات يمدح فيها الهمذاني الأمير صاحب الجيش، وهي من بحر الكامل قافية المتدارك. **وذكر الثعالبي منها هذه الأبيات:**

خـرج الأمير ومــن وراء ركــابــه … غيري وعـــزَّ عليَّ أن لم أخـــرجِ
أصبحـت لا أدري أأدعـو طغمشـي … أم بكتكنى أم أصبح ببـزغـــج
وبقيـت لا أدري أأركــب أبــرشي … أم أدهمــي أم أشهبي أم ديـزجــي
يــا سيــد الأمــراء مــا لي خيمــة … إلاَّ السماء إلى ذراهــــا ألتجـــي
كنفـي بعيري إن ظعنـت ومفــرشي … كمي وجنح الليـل مطـرح هـودجي
يــا منجنـون بجذف ثــاني حــرفــهِ … إن كنـت فـاعـل مـا أرى فتخـرج

وذكر ياقوت منها:

خـرج الأمير ومــن وراء ركــابــه … غيري وَعَـــزَّ علي «أن» لم أخـــرج
أصبحــت لا أدري أأدعــو طغمشي … أم يكتليني أم أصبح بنـذغجي؟؟؟
وبقيت لا أدري أأركــب أبــرشي … أم أدهمـي أم أشهبي أم دَيْـزجي»»
يــا سَيِّــدَ الأمــراء مــا لي خيمــةٌ … إلا السماءُ إلى ذُراهــا ألتجــي
كنفـي بعيري إن ظعنـتُ ومفــرشي … كُمّي وجنح الليلِ مطرح هـودجي

مثـل المـواري عـورتيـه بجبـه | إن لم يكـونـا معلمين فـدحـرج[1]
مـن عـاذري مـن همـةٍ فـوق السهـا | شرفـاً وحـظ في الحضيـض المحـرج
صيـت وراء الصين واسم فـوقـه | بُعـداً وجسم بين ثـوبي محـوج
يـا منجنـون[2] بحذف ثـاني حرفـه | إن كنـت فـاعـل مـا أرى فتحـرّج

مع الليل وأبي الطيب(*) [الكامل]

أنعـت ليلاً ذا سـواد كـالسَّبَـجْ | مخـدر الصبـح خـداريّ الدعـج
لـو أدرج العـالم فيـه لانـدرج | أو نسـج الحرمـان منـه لاتسـج
ليلاً حـرون النجـم قـاريّ النهـج | العمـر فيـه نقطـة لـو انفـرج
والدهـر مـن أجـزائـه ولا حـرج | أيسر ما فيه بالليل إذا الليـل ادلـج
بل بسنا الفجـر إذا الفجـر انبلـج | أنك يا سهـل وللـدعـوى حجـج
إمام مـن صلى ومـن صـام وحـج | يا سهل يا أطيب عيص المنتسـج[3]
يـا خير مـن دب عليهـا ودرج | يا ابن أبيت الفرع من حيث اتشـج
ومنظـراً مـن يـره منـك ابتهـج | ونـائلاً لـو كـاثـر البحـر فلـج
ومنصبـاً فـوق السِّمَـاكين عـرج | يا عائباً مدحـي لـه انظـر لا تلـج
قد فضـل الشمس وأوفـى بـدَرَج | فهو قـريـب المجتنَـى داني المحَـج
وهـي إذا حـاولهـا فـوق العَـرَج | ونُـوره عِلم ونـورهـا وَهَـج

(١) فدحرج ـ هذا البيت تضمين للمثل القائل: (إن لم يكن معلماً فدحرج).
(٢) المنجنون والمنجنـين الدولاب وبحذف ثانيه يصير مجنون ولعله في هذا البيت يخاطب الفلك الدائر أو الحظ العاثر.
(★) هذه الأبيات قالها الهمذاني ارتجالاً في الشيخ أبي الطيب بعد أن اقترح القافية ووصف الليل.
(١) المنتسج: وردت في رواية (المتشجِ).

في مدح العنبري (*) [الكامل]

نظري لهذا العيش كيف مزاجُهُ — نظر إليك نِساجُه وعلاجه
ولقد عهدت حماك وهو معرَّس — لي دخْله وعلى سوايَ خراجه
في جنحِ ليل رق عنا ثوبه — وصفت مدامته ورق مِزاجه
ماضي الغِرار يدُ الأمير محمد — طبعَته لليوم المثار عَجاجه
ليل كأن أبا شجاع بدرُه — يجلو الدجى والعنبريّ سراجه
فتدفقت بنداها أنواؤه — وتبرجت لعلاها أبراجه
حي الأمير العنبريّ وقل له — يا كعبة آمالُنا حُجاجه
أنت ابن بيت في السماء مكانه — سقفاً وفوق المشتري معراجه
أركبتني فرس الكرامة ملجماً — وعليك بعد لجامه إسْراجه
ولئن فعلت لأشكرنك في الورى — شكراً تموج عليكم أمواجه
بمدائحٍ لا ينمحي ديباجها — وبخاطرٍ لا ينتهي عَجَّاجه

في وصف الطبيعة (*) (★★) [مجزوء الكامل]

قسماً لقد نسج الحيا — خِلعَ الربى فأجاد نسجا
وشجاك لحن العند — ليب ونغمة القُمريّ أشجى
فكأنما قبس الر — بيع بمنكبِ العلمين سرجا
وإذا المروج مرجت في — أطرافهن الطرفَ مرجا

(★) هذه الأبيات قالها الهمذاني يمدح فيها الأمير العنبري وهي من بحر الكامل، قافية المتدارك.

(★★) هذه الأبيات يصف فيها الهمذاني نزهة في الرياض ثم مجلس خمر وهو يذكرنا بابن خفاجة الأندلسي ولسان الدين بن الخطيب ويتضح مدى فتنته بالطبيعة عندما نلاحظ كلمات: الحيا ـ الربا ـ العندليب ـ القمري ـ المروج ـ أنوار الربيع ـ الكوكب ـ الروض ـ الغصون ـ المرجان ـ السحاب ـ الأمطار ـ الخ.. الخ.. والقصيدة من قافية حرف الجيم إلا أنها من مجزوء بحر الكامل قافية المتدارك.

شبهــــت أنــــــوار الربيــ ـــع كواكبـاً والروضَ بـرجـا
وتـــرى الغصـــون كـــأنما اطلعـن للمــرجـانِ درجـا
حتى إذا بكـــت السحـــا ب وثجت الأمطــار ثجَـــا
قضــت الربــى بين السحـــا ب بنـورهـا دخْلاً وخـرجـا
فـاملأ كـؤوسـك يـا غـــلا م ولا تعـرهــا الماء شجــا
فــإذا انتهـت كــأسي إلــ ـيَّ مزجتها بـالـدمـع مـزجـا
بـــأبي الــذي نظـــم الجما ل لـوجهـه سبجـاً وثلجـاً
وجـــه كجيـــش الروم قـــد لاقــى مــن الصــدغين زنجا
ومـــدلـــل كحـــل الـــدلا لُ جفـونـه مـرضـاً وغنجـا
رضي الجمـــال بـــأن تصـ ـح جفــونـــه والغنـــج لجّا
لـــو لم يـــرد صيـــد القلـــو ب لما حنـى القـوس الأزجـا

غزلية (*)

[ثاني السريع]

فـديــت ذا الوجــةَ فما أبهجَــهْ! وذلــك الطــرف فما أغنجَـــهْ!
وذلـــك الثغـــر فما أنظَـــمَ اللـــؤ لـؤْ في سمطــه[1] بـــل أثلجَـــهْ!
إن كــان مَــن يُهْـدَى لـه بَــرْدُه مثليَ في الفقــرِ فما أحــوجَـــهْ

(*) يستخدم الهمذاني أسلوب التعجب ليعبر عن بهجة هذا الوجه الذي رآه، وذلك الطرف الأغنج، وذلك الثغر المنظوم اللؤلؤ في سمطه مثل الثلج وإن كان من يهدى له برده مثله في الفقر فما أحوجه إليه.
وهذه الأبيات من بحر السريع وبالتحديد ثاني السريع ـ قافية المتدارك.

(١) قرأت هذا البيت (وذلك الثغر فما أنظم اللؤلؤ في سلكه) و (سلكه) لا بأس بها مع المعنى كما جاءت في رواية.

يا من يطيل بناءه (*)

[الكامل]

يـا مـن يطيـل بنـاءَهُ متـوقيـاً ... رَيْبَ المنون[1] وصَـرْفَـه لا تحرجِ
فـالموت يفـرغ كـل قصر شـامـخ ... والموت يفتـح كـل بـاب مُـرتـجِ
يا عاقدُ اذكـر حلها وتـوّق يـا ... رب القصـور مـن الحمامِ المزعـج
وابنِ القصور بناة مـن لا يـرتجي ... فيهـا الخلـود ولا إليهـا يلتجـي

الشعر بالشعر (* *)

[مجزوء الرجز]

﴿سئل عن معنى قول الشاعر﴾:

علقـت ظبيـاً غنجـا ... كغصـنِ بـانٍ دمجا
صحفتـه نكستـه ... فكـن لـه مستخـرجـا

فقال:

أخـرجتـه يـا سيـدي ... لا مثـل إخـراج الشجـا
أولـه كقـدهِ ... ثم كظهـري عـوجـا
ثم كَمَحْني فمـه ... ثم كشـدّ في الهجـا
فهـاكـه مُفَسراً ... على مـواجيـب الهجـا

(*) هذه الأبيات من بحر الكامل قافية المتدارك.

(١) في نسخة (الزمان) بدلاً من (المنون)، انه يعتب على ذلك الذي يطيل في بناء القصور والعمائر، ظاناً أن ريب المنون وصرفه لا تحرج، فالموت يفرغ كل قصرٍ مهما كان شامخاً، والموت يفتح كل باب مرتج، ويخاطبه بقوله يا عاقد اذكر حلها، وتوق يا رب القصور من الحمام المزعج، وينصحه أن يبني القصور بناء من لا يرتجي فيها الخلود ولا إليها يلتجيء.

(* *) توجه رجل إلى الهمداني بهذين البيتين يطلب منه شرحهما فأجابه بهذه الأبيات وهي من مجزوء الرجز قافية المتدارك ويقال ان هذه الأبيات في (أحمد).

حرفا «الحاء» و «الخاء»

في مدح الشيخ الإمام (*) [الوافر]

دعـا فـأجـابـه القـدحُ وصحبٌ عنـده اصطبحـوا
يضـم الـراح شملهـم ويسفـر فيهـم الفـرح
ففـاز بهـم وليـس لهـم على الأيـام مقتَـرَح
يميـل بعطفـه سكـر ويثني جيـده مـرح
وتطـربـه مغنيـة بنـاجـذ ضرسهـا (1) قـرح
بضرب البم تختمـه ونقـر الزيـر تفتتـح
تكـاد النـار مـن يدهـا إذا جسـتـه تنقـدح
تكـاد الطير مـن طـرب على الأوتـار تطَّـرح
وتسعـدهـا بـألحـان عليهـا العصم تنبطـح
أقـول ومنـزل الألأ ف منـا منـزل طـرح
وقـد ضـاقـت بنـا أعطـا ن دهـر ليـس ينشرح
ولي في كـل جـارحـة لفضـل الشيـخ ممتـدح

(*) الشيخ الإمام هو العالم الفاضل: أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان.
وهذه القصيدة الحائية من بحر الوافر، مجزوء الوافر قافية المتراكب.
(1) في رواية (ضربها) وليس (ضرسها).

وفي واديـــــه متَّسَـــــع	لآمـــــالي ومنتـــــدَح
أطـــال الله منـــه يـــداً	بهـــا الآمـــال تلتقـــح
قفـــوا يـــا أهـــل نيســابـو	ر نعتـــب ثم نصطلـــح
أفـــاتحكـــم بمعتبـــة	ومعنـــاهـــا هـــوى صرح
وقـــدر الفضـــل عنـــدكمُ	ولســـت أذمكـــم وقـــح
وحقـــاً أن أُعـــاتبكـــم	وسهـــل منكـــم وتـــح
لسهـــل في العلى غـــرر	فهـــلا عنـــدكم لمـــح
وفيـه مـن النُّهـى بـدع [1]	فهـــلا فيكـــم مُلـــح
تضمَّـــن أمـــة رجـــل	وأودع عـــالماً شبـــح
فمـــن جـــاراه منقطـــع	ومـــن بـــاراه مفتضـــح
ليهنـــك ان سعيـــك في	مســاعـي المجـد متضـــح
وأنـــك جـــدت إذ بخلـــوا	فَلَـــم تخسر ولا ربحـــوا
وقِـــدْمـــاً كـــان يبلغني	لهـــم مـــا كـــاد يتضـــح
وكـــان يقـــال إنهم	إذا بخـــل الورى سمحـــوا
وإن وزنـــوا بـــأهـــل الأر	ض في أحلامهـــم رجحـــوا
ففيم الضيـــف مهتضَـــم	ومـــمّ البـــر مُطّـــرح
ومنغلقـــاً أؤملـــه	بيمنـــى الشيـــخ ينفســـح
فيعلـــم أن واديـــنـــا	لهـــا أولاه ينفســـح
ويبرز سره أملي	ويطلـــع قـــوســـه قُـــزَح (*)

(٢) عند الثعالبي (الندى بدع) وليس (النهى بدع).

(*) من هذه القصيدة الطويلة ذكر الثعالبي هذه الأبيات فقط:

لسهـــل في العُـــلا غـــرر	فهـــلاً عنـــدكم لمـــح
وفيـــه مـــن النـــدى بـــدع	فهـــلا فيكـــمُ ملـــح
تضمـــن أمـــة رجـــل	وأودع عـــالماً شبـــح
فمـــن جـــاراه منقطـــع	ومـــن بـــاراه مفتضـــح

موشحة للأمير قابوس(*) [الكامل]

طـربـاً فقـد رق الضـلا ... م ورق أنفـاس الصبـاح
وسرى إلى القلـب العليـ ... ـل عليلُ أنفـاس الريـاح
ومليحـة تـرنـو بنـر ... جسـة وتبسم عـن أقـاح
قـامـت وقـد بـرد الحليُّ ... تَميـس في ثني الوشـاح
تشـدو وكـل غنـائهـا ... بـرد على كبـد اقتراحـي
يـا ليل هـل لـك مـن صباح ... أم هـل لنجمـك مـن بـراح
طـربـاً فلا يـد للـوًّا ... حـي والصبا خضر النـواحـي
سـأريـق مـاء شبيبتي ... مـا بين ريحـان وراح

هو للناسِ صباح(**) [مجزوء الرمل]

اذهـب الكـاس فعـرف الـ ... ـفجـر قـد كـاد يلـوح
وهـو للنـاس صبـاح ... ولـذي الرأي صبـوح
والـذي يمـرح بي فـي ... حلبـة اللهـو جَمـوح
اسقنيهـا والأمـا ... نيُّ لها عَـرف يفـوح
إن في الأيـام أسـرا ... راً بها سـوف تبـوحُ

(*) في النسخة المطبوعة أن هذه القصيدة في مدح الأمير شمس المعالي قابوس وأبياتها من بحر الكامل (مجزوءه) قافية المتواتر.

وتكملتها في (اليتيمة) ما يلي:

فيـم العتـاب ولا لهـم ... غيٌّ ولا لهـمُ صلاحـي
وكعبـاذِلاتي في المليحـة ... عـاذلاتـك في السماحِ
وهـوايَ للبيـض الصبـا ... ح هـواك للبيـض الصفـاح

لا يغـــرنّـــك جســـم صـــادق الحســـن وروحُ
إنمـــا نحـــن إلى الآ جـــال نغْــدو ونـــروح
بينما أنـــت صحيـــح الجســـم إذ أنـــت طـــريـــح
فـاسقنيهـــا مثـــلَ مـــا يَلْـــفِظْـــه الديـــك الذبيـــح
هكـــذا الدنْيـــا فسيحـــوا ووقعنـــا لا تصيحـــوا
إنمـــا الدهـــر عـــدوٌّ ولمن أصغـــى نصيـــح
ولســـان الدهـــر بـــالـــوعـــظِ لـــواعيـــهِ فصيـــح
نستبيـــح[1] الدهـــرَ والأيّـــامُ منـــا تستبيـــح
ضـاع مـــا نَحميـــه مـــن أنـــفسِنـــا وهـــو يبيـــح
نحن لاهُـــونَ وآجـــال المنـــى لا تستريـــح
يـــا غلامُ الكـــاسَ فـــاليـــا[2] سُ مـــن النـــاس مـــريـــح
أنـــا يـــا دهـــر بـــأبنـــاءِ ـــئـــك شِـــقٌّ وسَطيـــح
وبـــأبكـــار القـــوافي لاَ على كفـــؤ شحيـــح
يـــا بني ميكـــال والجُـــودِ لِعـــلاّتـــي مـــزيـــح
شرفـــاً إن مجـــال الـــفضـــل فيكـــم لفسيـــح
وعلى قـــدر سنـــا المـمـــدوح يـــأتيـــك المديـــح
فهنـــاك الشرف الأرفـــع والطـــرف الطمـــوح
والندى والخلق الطاهـــر والوجه الصبيح[*]

= وولـــوع كفـــي بـــالقـــداح هـــواك للبيـــض الصفـــاح
وعليـــك إدمـــان النـــدى وعليَّ إدمـــان امتـــداحـــي
فليعـــل. رأيـــك أنـــهُ يلـــوي يـــد القـــدر المتـــاح
وافخـــر فـــإنـــك في المـلـــو كِ لـــك المعلى في القـــداحِ

(١) عند الثعالبي (نستميح).

(٢) عند الثعالبي: (فاليأس).

(★ ★) هذه القصيدة (هو للناس صباح) قالها الهمذاني في الرئيس أبي جعفر الميكالي وهو من مجزوء بحر الرمل قافية المتواتر.

في معنى الذؤابة (*)

[الوافر]

أداعبك الْحُجيَّا في غليظ ... طويل القد مسود النواحي
يعلَّقُ وهو منكوس ولكن ... إذا ما امتد صار الى الفقاح

في وصف الورد (**)

[المتقارب]

وأحمر في وسطه أصفر ... له ضمة وله فتحهْ
أنيته لا ختل غرَّاته ... فألفيته حُشِي الفقحهْ

جيش الملاحة (* * *)

[الكامل]

جيش الملاحة والجما ... ل بوجه من أهوى مناخ
فلو آنبرى للأر ... ض في أيار أزهرت السباخ

(*) من قافية المتواتر، بحر الوافر قال الهمذاني هذين البيتين في معنى الذؤابة.

(* *) في الورد الموجه، من بحر المتقارب، قافية المتواتر، قال الهمذاني هذين البيتين.

(* * *) قال الهمذاني هذين البيتين من حرف الخاء، بحر الكامل، قافية المتدارك ـ وهو معنى فارسي سمعه ونقله إلى اللغة العربية شعراً.

حرفا
«الدال» و «الذال»

مدح واعتذار (*)
[الطويل]

أيا دمع إن لم ينجد الصبر أنجد ... ويا شوق ألحق غائرين بمنجد
ويا حاديي اظعانها إن نويتما ... نوى فقفا لي وقفة المتردد
فلي مهجة لم تنبتر وتكاد أن ... ولي نَفَس لم ينقطع وكأن قدِ
وزوراء من كافي الكفاة على النوى ... وضعت لها يمناي في فم أسود
وعيد كصنع النار في يابس الغضى ... شددت على الأحشاء من خوفه يدي
وظلت بصبح اليوم منه مهابة ... وبت له رعباً بليلة أنقد
أرى كل ممدود عليّ حبالة ... وكلَّ خيال قاعداً لي بمرصد
وأحسب زِرّي قابضاً بمخنقي ... ومحمل سيفي آخذاً بمقلدي
أحُول حذار الظل رعباً وأحتمي ... من الماء إلا أن يرنّق مَوردي
وأتهم الظلماء أن لا تُجنَّني ... وأمقُت ضوء البدر خيفة مهتد
وأشرَق بالماء القراح على الصدى ... وذاك لِما خُبرتُ أنك مُوعدي

(*) قال الهمذاني هذه القصيدة الدالية مادحاً «الصاحب بن عباد» الوزير الأديب، ويعتذر له في نفس الوقت - والأبيات من بحر الطويل، قافية المتواتر.

أحاذر كيداً منك طلاب أنجم ... وأرقب رأياً منك طلاع أنجد

وكنت امرأً لا يأتلي الخير فاعلاً ... ومهما تعد بالشر تحصد وتخضد

أكافي الكُفاة آستبقِ مني ومن دمي ... حُشاشة مجد في البلاد مشرَّدِ

أفي موجب الفضل الذي أنت أهله ... توعّد مثلي أم قضية سودد

أبعد مقاماتي لديك وهجرتي ... إليك وإنفاقي طريفي ومُتلَدي

وجوَّابةٍ للأفق فيك طردتها ... غدت بين منشور وبين مقصَّد

وقفتُ بها استطلع الرأي منشداً ... وقلت (وأعلى اللهُ قولَك) جوِّدِ

فأين زماني بالخِوان حضرته ... وأين إلى الباب الرفيع ترددي

ومالي (وأبواب الرجا فيك جة) ... وقفتُ بباب من رجائك مُوصَد

ولا باعُ آمالي اليك بقاصر ... ولا وجه أعمالي لديك بأسود

فماذا عسى الواشون خاضوا على دمي ... ومن أي وجه ثار لي أيُّ مؤيِّد

وأيّة نار شبَّها أيُّ مُوقد ... وأي عظيم هاج مِن أيّما دَدِ

فإن كنت حقاً موعدي بكريهة ... فرأيك في تعجيل يوميَ عن غدي

وإن تنو تحريكاً وتهذيب جانب ... فقد صك في ذرعي وقد فتَّ في يدي

حنانَيْكَ من ظن لمولاك جائر ... ولبيك من رأي على العبد معتد

ولم تُمضها في مُخلص الودّ نية ... يروح إليه الموت منها ويغتدي (*)

ولا أنا [1] إلا في ولائك محتَسِبٍ ... ولا أنا [2] إلا بالهوى لك مرتد

وعذري عند الله فيك ممهد ... وإن كان عند الناس غير ممهد

وعقد ولائي في ذراك مؤكد ... وإن لم يكن عقد المنى بمؤكد

ولست لأني واجد منك مهرباً ... أحُث ركابي فَدْفَداً بعد فدفد

ولكن سأبلي العذر في كل حالة ... بشكرك في يومَيْ مغيبي ومشهدي

فتبدي لك الأيام ما أنا عنده ... ويأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ

(★★) هذه الأبيات استكمل بها الهمذاني مدحه للصاحب.

(١) في نسخة (وما أنا) والمعنى واحد.

(٢) في نسخة (وما أنا) والمعنى واحد.

إلى مشايخ جُرجان(*) [السريع]

كم حسرات لي وكم وجـــــد ليســـت على غـــور ولا نجدِ
لا بل على جرجـان مـن بلـدة سكنـتُ منهـا جنـة الخلـد
أرض من المسك ووشيٌّ من الـ ـطـل على فـرش مـن الرَّنـد
وســادة عــاشرتهم لم أزل في ظـل عيش بهمُ رغـد
كنت بهم طـول مُقامـي بها ومنهــمُ في زمـــن الورد
يا صـاح هـل تـذكـر كم ليلـة سعدتُ منهـا بـأبي سعـد
ألم يكـن غـرة اخـواننـا ألم يكـن واسطـة العقـد
أليـس كنـا سُـوَراً للعلى وكـان فينـا سـورة الحمـد
ناهيك مـن حلم ومـن سؤدد فيـه ومـن علم ومـن رفـد
شمائـل الغيـث وخلـق الصبـا لـه وقلـب الأسـد الوَرْد
ذو خلُـق لـو أنـه دمعـة مـا أثـرت في صفحـة الخد
ومـن كمـولاي أبي معمـر والأخ غُصْنَـيْ شجـر المجـد
ضبعيْ يد الفضل وسبعي وغا الـ ـعلم وربعـي كـرم العهـد
ولـؤلـؤيْ درْج ونجمين في بـرج وصمصـامين في غمـد
والخـولكيين فما منهـمُ إلا معيـد في العلى مبـد
يـأوون في المجـد إلى خُطـة تُلقـي الثريـا بثرى الوهـد
وشيخ أرْجـان فنـاهيـك مـن أرْوع في همتـه فـرد
سيـد مـن أخلصني وده وخير مـن أخلصتـه ودي
مـا أنس لا أنس فقيهـاً لنـا يُكْنَى أبا الفضل السمـرقنـدي
وفـاضلاً يكنـى أبـا قـاسم إليـه عـرض الجيش والجنـد
تزخرفت جـرجـان أنسـاً بـه واستـوحشـت أرض نهاوَنْـدِ

(*) قالها يمدح مشايخ « جُرجان » وهي من بحر السريع ، قافية المتواتر .

أنــزلني الدّهــر على حكمــه من شـامـخ عـالٍ إلى وَهْـد
كـب على الوجـه سروري بهم كبّـــاً على الجبهـــة والخد
أوطـأني ظهـر النـوى عنهـمُ اني مـا نمت مـن الصـد
لا زلت يا جـرجـان معمـورة للـرجـل الآمـل يستجـدي
صفـا لنـا دَنُّـكِ لكنـه لا بـد في الآخـر مـن دُردي
فالنـذل قـاضيـك على لـؤمـهِ وفـرطِ مـا يعلـوه مـن بَـرد
لا يلبُس الجوزاء ألحاظَــه تيهـاً ولا يخرا على النَـد
تــراه لا يعلم أن الخـرا أجمـل مـن لحيتـه عنـدي
والزنجانيّ فـواحسرتـا منـه على هـامتـه الوغـد
فـاز بـذاك الرأس مني ولم أبُـح بما فيـه ولا أُبـدي
والماسرابـاذِيّ أيُّ امـرىء مخنـث في ذلـك الجلـد
إذا أتـى زوجتـه زانيـاً تُنْـزِل أسماءٌ على هنـد
سماجـة القـرد وخَلْـق الصَّبي وذلـك الداء الذي يُـردي[1]
إن خلصت فروتـه مـن يـدي فلا آجتدت ناراً من الـزنـد[2]
مغتلم الثقبـة لكنـه يـوهمنـا الرغبـة في المرد
ويشتهـي المـرد ولكنـه كـل صُمُـلّ عـارم جَلْـد
يـا كـرم الأستـاذ نحوي ويـا فـواصـل الشيـخ التي عنـدي
لا زلتما في نعمـة بعـدي وعشتما في القـرب والبعـد

(١) واضح أن الهمذاني قد لاقى كل ترحيب من جرجان، فهي لا زالت عنده معمورة للرجل الآمل يستجدي.

(٢) كان بديع الزمان نضو أسفار، وجواب آفاق، يقطع الفلوات، راكباً وراجلاً، جارياً وراء الشهرة، وذيوع الصيت، وباحثاً عن المال الذي كان منهوماً بحبه، شغوفاً بجمعه واكتنازه.. مرتاداً ذوي النعمة واليسار. كالطير يسقط حيث يلتقط الحب، حتى قال الرواة إنه لم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها، وجنى ثمرها؛ ولم يبق ملك، ولا أمير ولا وزير إلا واستمطر بنوئه، وسرى في ضوئه. فحصلت له نعمة حسنة، وثروة جيلة.

قـامـرني الدهـر سروري بكـم		بغير شطـرنـج ولا نَـرْد
قـد عشتما قبلي فعِيشـا معـي		ثم آبقيـا بعـدي لمن بعـدي

أبو نصر بن زيد (*)

[الكامل]

قسماً لقـد عَجَـمَ الزمـا		نُ كِنـانتي عُـوداً فعـودا
وأرانِـيَ الأيـام شُـو		سـاً والمنـى بيضـاً وسـودا
ولقـد أسـاء فما رفعـ		ـتُ إليه طـرفي مستـزيـدا
كـلاًّ وسَـرَّ فما حططـ		ـتُ لـه لِثامـي مستجيـدا
لَقِيَـتْ تصـاريـف الزمـا		ن بِـيَ الحجـارة والحديـدا
وأحلني حيـث التفـت		فلـم أجـد إلا حسـودا
ولئـن أحلَّنـيَ الحضيـ		ـض فدون تقـديـري وُجـودا
وإذا أحلنـي السمـا		ء فـدون مقـداري قُعـودا
أنـا عبـد مـولانـا الوزيـ		ـر فمـا نهاني أن أسُـودا
إنّـي بـواقيـة اسمـه		أطـأ الأسـاوِد والأسُـودا
أدَع الصعيـد إذا أعـسـر		تُ تـرابَـه قـدمـي سعيـدا
مَـنْ مُبْلـغ عني العـرا		ق وسـائـر عني بَـريـدا
أن الوزيـر انتـاشني		وأعـادني خَلْقـاً جـديـدا
لـك يـا وزيـر المشرقيـ		ـن زففتها خـوداً فـريـدا

(*) قال الهمذاني هذه الأبيات في الشيخ أبي نصر بن زيد وهي من بحرالكامل ـ قافية المتواتر.
ولنا ملحوظة على كثرة مديح الهمذاني لرجالات عصره وما نعتقده أن سلوكه وأخلاقه لم يكونا كفاء لمواهبه العجيبة وقدراته النادرة. ولم يكن للزمان أو للمكان دخل في سلوك الناس، وكثيراً ما يكون في الزمان الواحد والمكان الواحد، وتحت تأثير الظروف المتحدة أو العوامل المتشابهة الفاضل الكريم وإلى جانبه الوغد اللئيم. وتلك طباع البشر، وفيها يتفاضل الناس، وبضدها تتميز الناس والأشياء. والبقعة من الأرض، تؤتى ثمراتها مما هو حلو المذاق، وما هو مر زعاق!!

وعقـــدت نـــذراً لا منحـ ـت سـواك قـافيـة شرودا

وإذا نقضــت فلـــن أكـــو ن لـــرشـــدتيّ ولا رشيـــدا

كبّــرت فيـــك على الملـــو ك وقلت بعدك لا مـزيـدا [1]

وسمعــت أنــك ظــاعـــن فضحكـت مـن أملي شـديـدا

خــل الزمــان كــذاك عنـ ـدي مبـديـاً ومعـــي معيـدا

سقى اللهُ نجداً ! (*)

[الطويل]

سقـى الله نجداً كلما ذكـــروا نجداً وقَـلَّ لنجـد أن أهيم بـــه وَجْــدا

طـربـــتُ وهـــاجتني شمالٌ بَليلـــةٌ وجَدت لمسراها على كبدي بَـردا

ويـا حبـذا نجد وبَـــرد أصيلـــه وعيشـاً تـركنـاه بسـاحتـه رغْـدا

ليـاليَ شملي بـالأحبـة جـامـــعٌ وإذ غصنيَ الريـانُ لا يسـع الجلـدا

لَعمـر ظبـاءٍ بـــالعقيـــق أوانـسٍ لقد صدن مني باللوى أسـداً وَردا

ولـو لم يُسـاقطـن الحديـث كـأنما يشعشعن بالخمـر المعتقـة الشهــدا

منعـت فـؤادي أُن يبـاح لـه حمى وصنت دموعي أن أفض لها عقـدا

وعزم إذا خيمـت سـافـر وحـده شققت به لِليـل عــن منكبي بُـردا

فطمت عليه العـزم قبـل رضـاعـه إليـه وأعملـت المســوَّمــة الجردا

ولا غـرَرٌ إلا شمِمْـتُ لــه يــداً ولا خطـر إلا قـدحـت لـه زنـدا

ولا قفـرة إلا وأمسيـــت صِلّهـــا ولا حَضَـرٌ إلا وظلْـتُ لـه وَفْـدا

كحلـت بهمّـي عين كـل كـــريهة إليهـا تخطّيـت الأسـاوِدَ والأُسـدا

بهمـة مستحْـلٍ مـن المجـد مُـرة وعزمة مستدنٍ من الشرف البُعـدا

وطئـت بها بُسْـط الملـــوك مبجلاً وما وصلَت لي منهـم رَحـمٌ عهـدا

---

(١) (كبرت) نرى أن صحيحها : (كبَّرْت).

(★) هذه القصيدة قالها في مديح إبراهيم بن أحمد وهي من بحر الطويل قافية المتواتر.

وأصبحت للباب المحجب والجاً ... ويُوسَعُ غيري أن يمرّ به طردا (*)
ولست بهياب إذا لم تطل يد ... تميمته ذم الزمانَ أو الْجَدا
أبى الله لي دار الهوان وهمة ... موكَّلة والواخدات بنا وخدا
غدا الدهر مني حالياً بمفاخر ... ورحت كنصل السيف يحملني فردا
وقد علم الأقوام أن شريعتي ... من المجد لم تسهل على أحد وِردا
ولست فتى إن شمت برق سحابة ... لغير كريم أو سمعت لها رعدا
متى أتتِ الشيخ الجليل مطيتي ... فقدت يدي إن لم أقدّ لها جلدا
تزر ملكاً يعطي الجزيل إذا صحا ... ويضرب هاماتِ الملوك إذا شدّا
يُحكّم إلا في محارمه الندا ... ويُعمل إلا في مكارمه القصدا
ألم ترني قيدت في طوس عزمتي ... ولولاه ما كانت على كبدي تندى
وكنت امرأ لا أرتضي المجد خادماً ... ذهاباً بنفسي فآتسمت له عبدا
قصدناك لا ان الضلال أجارنا ... ولكننا جرنا لنلقاكُمْ عمدا
فلا أملي أعيا ولا صارمي نبا ... ولا منزعي أشوى ولا مطلبي أكدى
فلو كنت غيثاً لم يشم برق خلب ... ولو كنت بحراً لم يزل أبداً مَدّا
أملء فمي فخراً ووسع يدي ندا ... وحسب المنى منا وقدر الْجَدا جَدّا
أعرني يداً تهمي دنانير في الندا ... كما تنثر الأغصان يوم الصبا وَرْدا
أُعرك ثناء لا تغبّ وفوده ... كما تنشر الأمطار فوق الربى[1] بردا
وألبسك مدحاً لا يعاد فريده ... كما ينفح الند الذكي إذا ندا
تعيد المساعي غضة بعد يبسها ... وشِيب المعاني بعد كبرتها مردا[2]

(*) يواصل الهمذاني مدحه لابن أحمد.

(١) الزبى: في نسخة (الثرى).

(٢) عندما نعيب مديح الهمذاني فنحن بذلك لا نحاول الغض من شأن الهمذاني الأديب الكبير الذي نحقق ديوانه وندرسه، أو أننا نتجنى عليه أو نحاول أن نبخسه حقه، أو ننتقص من فضله، فما كان ذلك غاية لنا في أية كلمة من كلماتنا، ولا في أي بحث من بحوثنا، ولكننا باحثون عن الحقيقة، وهي أعز علينا =

هلمَّ العطايا فاللُّهى تفتح اللَّها — وسح الندا [1] يستنجز الخاطرَ الوعدا
جلبت إليك المدح مغلّى بسومه — أرغبةَ مبتاع لمدحيَ أم زهدا
أشِم مِدَحي كفا بها تَبتني العلى — ولا تُعْدني رأياً به تَعمر المجدا
فما العمر إلا ما اقتنى لك ذكرة — وما المال إلا ما اشتريت به الحمدا
وما دولة أنت المدبر أمرها — بمَنْشَب ظفر ما بقيت لها سَدّا

يا غُرةَ النجم الرشيدي (*) [مجزوء الكامل]

يا غرة النجم الرشيدي — لا تنقضي أبداً وزيدي
يا من يتيه على أخيـ — ـه بحسن منعطف وجيدِ
تِهْ ما بدا لك إنني — قد صُغتُ قلباً [2] من حديد
وجلست أنتظر الكسو — فَ وليس ذلك بالبعيد

يا حريصاً على الغنى (**) [الخفيف]

يا حريصاً على الغنى — قاعداً بالمراصدِ
لست في سعيك الذي — خضت فيه بقاصد
إن دنياك هذه — لستَ فيها بخالد
بعضَ هذا فإنما — أنت ساع لقاعدِ

من كل إنسان، وهي أولى ما يجب من الرعاية والاعتبار، وغايتنا الكبرى ان نصل بين شخصية الأديب وفنه إذ لا مناص بين شخصية الأديب وفنه، إذ لا مناص من البحث عن العوامل الفعالة في أدبه، وعن حقيقة المشاعر التي وجهت هذا الأدب، وسنجد فيما كتب بديع الزمان بنفسه عن نفسه يؤكد كل وصف مما وصفناه به.

(١) (وسح الندا) في نسخة (وسمح الندا).

(★) قالها من مجزوء الكامل قافية المتواتر.

(٢) صغت قلباً في نسخة (صرت قلباً).

(★ ★) قالها من مجزوء بحر الخفيف، قافية المتدارك.

العاشق والقرد (*)

[الرجز]

ما عاشق ألْوَط من قردِ قد صيغ شكلاً صيغة العقدِ
بما أبى ما تحته من نقا وفوقه من غصن القد
في صيغة العقد ولكنه يلتف في خاصرة المرد
إن أنت لم تخرجه يا سيدي خريت بالمفعل من خد (١)

على دار السيد أبي جعفر الموسوي (**)

[الكامل]

لك كعبتان ومَشعرا ن وقبلتان لمن يحاذِي
هي كعبة الحجاج تلـ ـك وكعبة المحتاج هذي

هَبِ الدنيا (***)

[الوافر]

أجِدَّك ما تَنَبَّه للمنايا كأنك واجد عنها مَلاذا
لذاك على الغنى تزداد حرصاً وفي حلبات سكرتها نَفاذا
هبِ الدنيا تُحقق ما ترجّي من الآمال ويحك ثم ماذا

(*) قال الهمذاني هذه الأبيات من بحر الرجز، قافية المتواتر، يصف منطقه وصفاً فيه تعمية وقد سئل ذلك.

(١) يقصد: المخدة، الوسادة.

(**) هذان البيتان من حرف الذال، وكتبهما رحمه الله تعالى على دار السيد أبي جعفر الموسوي، وهما من بحر الكامل قافية المتواتر.

(***) قال هذه الأبيات من بحر الوافر، قافية المتواتر.

حرفا
«الراء» و «الزاي»

إلى ناصر الدولة (*)

[الطويل]

شماسة قلب ليس يألف طائره — وعازب لُب أول الحب آخرُهْ
ورئْم أبت ألحاظه أن تُغبّني — وُفودَ الهوى أو يبرحَ الصدرَ خاطرهْ
بساحر ما ضمت عليه جفونه — وريانِ ما التفّت عليه مآزره
وأبيضِ ما تحت الصّدار لَوانه — تجرد لاحت للعيون سرائره
في قلب هذا العشق حقاً وهذه — مـوارده حتى تبين مصادره
فلا الانس مردود إليك شريده — ولا النوم معطوف عليك أواصره
ويا دمع أدركني إن الصبر خانني — بنصرك والمخذول من أنت ناصره
ويا برحاء الشوق رفقاً بمهجتي — هي المجد معقوداً عليه خناصره
ألا إن تحت الشوق مني لماجداً — يجاذب فيه منجد الشوق غائره
وما حال صب بالعراق فؤاده — أسير وثاو في خراسان سائره
على أن في قرب الأمير وبسطه — لنا عوضاً لا يخلف الظن ماطره
ألم تر أن الملك قر قراره — إذا زينت باسم الأمير منابره

(*) هذه القصيدة قالها يمدح فيها الأمير «أبي علي بن ناصر الدولة»، وهي من بحر الطويل ـ قافية المتدارك.

ودون حجاب الملك منذ تمكنت أسرته من أرضه وستائره
سحاب ولكن الدنانير صوبه وليث ولكن الملوك عقائره
وأبلج كالصبح الأغر جبينه ضياء وكالليل البهيم عساكره
تذل له الأقدار وهي جنوده وتخدمه الأيام وهي عشائره[1]
يموج به في الحرب صاف أديمه حفوز لِهامات الملوك حوافره
مقيم سرير الملك حاضر تاجه وخاتمه غازي الغريم مسافره
تَزايل أركانُ العدى عند بأسه وتعضَب أنياب الردى وأظافره
ألم تر غرشستان كيف تغورت معاقلها لما انتحتها بصائره
طلبت بها ثار الإله ودينه فما فات والشيخ الموفق بائره[2]
ونبئت يا نهلان أن عصابة يخالف فيهم باطن القلب ظاهره[3]
أتوك وراموا أن يهزك بغيهم على شرفي والبغي مر مصائره
حنانيك حسادي كثير كما ترى ومن حسنت عيناه تكثر ضرائره
ومن حل من علياك حيث تُحِلني تصدى له قاصي المحل وقاصره
أنا العبد لا يأبى عليك ولاؤه خلوصاً ولا تخطو ذراك مفاخره[*]

يا قُرةَ العين[**]

[الطويل]

أليلتنا بين العتابين والعذرِ أليلة عذر كنت أم بيضة العقر
نعمنا وبتنا بين فاطمتي هوى كتوأم لَوْز بين مِلحفتي قشر
نصعد أنفاساً نقطع أنفساً إذا علت ارتدت إلى ثُغَر النحر

(١) في نسخة مآثره.
(٢) الأصح: ثائرة.
(٣) نحى بدءا من هذا البيت منحى شخصياً.
(*) هذه الأبيات تكملة لمدح الأمير (أبو علي بن ناصر الدولة).
(**) هذه القصيدة الرائية يمدح الهمذاني بأبياتها الشيخ أبا نصر بن زيد، وهي من بحر الطويل قافية المتواتر.

ولما انتظمنا بين ضم وخلوة	رأى الله شفعاً كان أوحد من وتر
خرقنا لها حجب البراقع والفرى	جميعاً وأسبلنا ستائر من صبر
ولما حبانا الصبح برد نسيمه	تحيز عن حجري ودمعته تجري
فقلت له يا قرة العين ما لنا	تباشير فجر ما بدا لك أم هجر
ومن يصحب الأيام يشرب سلافها	ويشرق بها إن الخمار من الخمر
وشاردةٍ إن أكثبت فجديرة	وإلا فقد أبليت في طلبي عذري
وكنت إذا ما الليل ماج ظلامه	جعلت على تياره جسرتي[1] جسري
بمشرفة كالطود دائمة السرى	كأني على الشعرى بها أو على شعري
كأن الفلا صدري كأني وناقتي	خيال به تسري كأن الدجى فقري
كأني على قصر بها وكأننا	إذا وخدت تحتي على كنَفي صقر
وقد عجبت شم الهضاب فما درت	أبالعيس نسري أم بأجنحة النَّسر
هو السير دأباً أو تبلغنا النوى	حمى ذمة الشيخ الجليل أبي نصر
إذا بلغت باب الوزير ركابنا	فلا وطئت أرض الخصيب ولا مصر
أقيسُ أبا نصر بأيٍّ أقيسه	أبالبحر أم بالدهر أم بسنا الفجر
نعم يا وزير المشرقين ملكتني	فرأيك في أن لا تبيع بلا سعر
طويت للقياك الملوك وإنما	طويتهم منهم ومنك على خبر
ولولا اشتعال النار في يابس الغضا	لقلت وهبني لا أقول ولا أدري
أيا رب أندى فرعه المجد فآرعه	ولا تخل ذاك الصدر من ذلك الصدر

إلى الأمير خلف (*)

[الطويل]

ألم ترني فارقت قيسي وخِنْدِفي	وما المرء إلا حيث حلت عشائره
وقد علمت أم الفوارس أنني	أبوها إذا لم يرضني من أجاوره

(١) الجسرة هنا الناقة.

(★) في هذه القصيدة يمدح الهمذاني الأمير « خلف بن أحمد » وهي من بحر الطويل ـ قافية المتدارك.

وفارقت أرض الديلمي وإنها … لأرضي ولكن فاز بالشيء قامره

ووافيت دار الأعجمي وجزتها … وإن يك[1] قد دارت علي دوائره

فكنت كأن الله يرصدني بها … فلما قطعت الباب قطع دابره

وما أنس لا أنس الرباط وليلة … وهمّاً من الآمال بت أسامره

وقوليَ للأصل الذي أنا فرعه … وقد بزه برد التجمل قاشره

لَعًا[2] لا يرعك الهم يا عم إنه … وإن كان مر الحال حلو مصائره

وفي خلف إن ألحقتنا يد المنى … لنا خلف لا يخلف الظن ماطره

فلما وردنا موسم الملك أقبلت … وفود الغنى واستقبلتنا بوادره

ولما انجلى بدر الدجى من جبينه … أعرنا الثرى حُر الوجوه تعافره

جلبنا إليه الفضل وهو أميره … وبعنا عليه بَزّه وهو تاجره

وبحت فقال الناس من ذا وقال من … أجابهم عبد الأمير وشاعره

ولاحت لنا منه عيوب كثيرة … ولا عيب فيه غير ما أنا ذاكره

ولادته في عالم دون قدره … وفي زمن مثل اسمه لا يقادره

وآخر أنا إن أردنا مديحه … تقضى القوافي وهو باق مفاخره

وآخر أن لا عيب فيه لناظر … تردّ به عين الكمال وناظره

وما ملك إلا يؤدي خراجه … إليه على رغم ونحن نصادره

مقابلنا عند اللقاء هو الذي … إذا لحَظَ الجبارَ شقت مرائره

ولي خادم فوق الخِوان هو الذي … تمر به الأقدار وهي تحاذره

يد الله في تلك المحاسن إنه … على كل حال طيب العرض طاهره

هناك عطاياه وثم انتقامه … وتلك خفاياه وهذي ظواهره

أيا جابر العظم المهيض لقاؤه … ولا يُجبر العظمُ الذي هو كاسره

أتأمر لي ببدرة كل نظرة … إلى الشغل باستيفاء ما أنت آمره

فإن يك بحر أغرق الناسَ ماؤه … فإنك بحر أغرقتني جواهره

---

(١) في نسخة (ولم تك).

(٢) لعا: كلمة يراد بها الانتعاش من العثرة.

إلى ملك جوزجان(*) [المتقارب]

ألم تـــر أنّـــيَ في نهضتـــي	لقيــت الغنـى والمنـــى والأميرا
ولما التقينـــا شممـــت التراب	وكنـــت امــــرأ لا أشم العبيرا
لقيـت امـرأ مثـل غيـب الزمـا	ن يعلـو سجايـا ويـرسـو ثبيرا
فلا يعـــدم الملــك ذا روعـــة	يمون المنـــى ويسر السريـــرا
لآل فـــريغـــون في المكـــرمـــات	يـــد أوّلاً واعتـــذاراً أخيرا
إذا مـــا حللـــت بمغنـــاهـــم	رأيـــت نعيماً وملكــــاً كبيرا

يوم المهرجان(* *) [المجتث]

لمــا بعثـــت بلحظـــي	في خــد جُلْنــار نـــارا
لـــوت بعقـــرب صـــدغ	إذا رأى النـــار نـــارا
لمــا انتحـى القـــوم نجـدا	على المهـــارى مهـــارا
أرسلـت مـن حـــر وجـــدي	إلى بخـــارَى بخـــارا
والدهـــر طـــالـــب ثـــار	إذا رأى الثـــار ثـــارا
أودى بـــإيـــوان كسرى	ولـــــم يَدَع دار دارا
يــا صـــاحبَـــيَّ أفيضـــاً	على العقـــار عقـــارا
فقـــد كستني عقـــاري	مـــن الخمـــار خمـــارا

(*) هذه الأبيات وردت في يتيمة الدهر للثعالبي (ص ١٩٥) ويقول ان الهمذاني أنشدها في «ابن فريغون» وجاء البيت الأول كما يلي:

ألـــم (تـــراني) في نهضتـــي لقيـــت المنـــى والغنـــى والأميـــرا

ولم يذكر الثعالبي البيت الرابع من هذه الأبيات.

وهذه الممدوحة في ابن فريغون ملك الجوزجان من بحر المتقارب قافية المتواتر.

(* *) هذه الرائية قالها «لأبي الحسن بن كثير» في يوم المهرجان على قافية مقترحة - وهي من بحر المجتث قافية المتواتر.

قـد كـان حسبـك مـزجـاً والآن إن ســـار ســـارا
ورب سيـــل حـــرون مـن ثقبـة الفــار فــارا
لا زلــت يــا آبــن كثير في الدهــر إن جــار جــارا
مــن دون مجــدك ليــث يُخيــف مَــن زار زارا
كســوت عمــر الأعــادي كيــوم ذي قــار قــارا
مهــرج فــربعــك خلــد للغــوث مــار ثِمارا
والنــار تــرمــي شراراً في الصحــن ثــار فثــارا

في الزهد (*) [مجزوء الكامل]

إن لله عبيـــــــداً في زوايــا الأرض غبــرا
لا تنـــال العين إلا جســداً منهــم وطمــرا
أنســوا بــالله حتى حــرجــوا بــالعيش صــدرا
يَحسبــون القصر قبــراً ويـــرون القبر قصراً
فــإذا جنهــم الليــل رأوا بِــراً وبِشرا
وجبــالاً دحيــت أر ضــاً وبحــراً عــاد بــرا
ذلــك الســؤدد لا أن يسحــب الديبــاج كبرا

ما الشأن في الدنيا؟(* *) [السريع]

لا دَرَّ مــن آمــالنــا دَرٌّ يجرنــا المــوت فننجــرٌ
مـا الشأن في الدنيـا تغـر الورى الشــأن فينــا كيــف نغتر

(*) هذه الزهدية الصادقة قالها الهمذاني من مجزوء الرمل. قافية المتواتر.

(* *) هذان البيتان من بحر السريع. قافية المتواتر.

دار النبوة لا تُمارى(*) [الوافر]

رعـاكِ الله مـن شرفـات دار — وحـاطك حَيطـةَ الفلـك المدار
فـإن يـك كعبـة الحجاج جدّي — فـإنـك كعبـة المحتـاج داري
وإن يـك مشعـر الحرم افتخاري — فـإنـك مشعـر الكـرم اختيـاري
وإن يسطـع بأرض الخيـف نـوري — فقد ضاءت بأرض الضيـف نـاري
وتلكـم للصلاة مـزار عـزي — وهـذي للصّلاتِ قـرار جـاري
وبيت الهدي حيـث قـرار جـدي — وبيـت السمهـري بـه قـراري[1]
ودار للنبـوة لا تمـارى — ودار للمـروءة لا تمـاري
فهـل تجـد العلى عني محيـداً — وهـل ليس النـدا إلا شعـاري

أحاجيك أناجيك(* *) [الهزج]

أحـاجيـك أنـاجيـك — بمـا يهجـس في الصـدر
بما يجمـد مـن خمـر — ومـا يخمـد مـن جمـر

(*) هذه الرائية كتبها الهمذاني على دار «السيد أبي جعفر الموسوي» عن لسانه من بحر الوافر.

(١) قراري في نسخة: (وحيث السهر به إقراري) وعلى كلا الروايتين فالمعنى غير ظاهر.

(* *) هذه الأبيات من بحر الهزج ويقول العروضيون عن هذا البحر انه كان عبارة عن ستة تفعيلات ولكنه لم يرد كاملاً تاماً عن العرب فوضعوه في استعمال المجزوء والذي دعاهم إلى ذلك الأخذ بنظام الزوائد الذي وضعه الخليل بن أحمد، وما دام العرب لم يقولوا شعراً من هذا البحر (ست تفعيلات) فينبغي لنا أن نضرب صفحاً عن ذلك النظام ونقول ان بحر الهزج يتكون من أربع تفعيلات فقط هي:

مفـاعيلـن مفـاعيلـن — مفـاعيلـن مفـاعيلـن

ومن أشهر قصائد الهزج قصيدة الفند الزماني التي منها:

صفحنـا عـن بني ذهـل — وقلنـا القـومُ إخـوان
فلمـا صـرّح الشـر — فـأمسى وهـو عـريـان
شـد دنـا شـدة الليـث — غـدا والليـث غضبـان
بضرب فيـه تـوجيـع — وتفجيـع وإقـران

وما يذكر[1] معناه إذا قلت علا أمري
ونجم كاد ذو الحاجـ ـة في الليل به يسري
وحرف من حروف النصـ ـب لولا خفة الظهر
تراه آبن أخي الخنسا ء لكن ليس من عمرو
أجب إن شئت بالنظم وإن شئت فبالنثر[2]

موشح: ما رابني إلا الرقيب (*) [الرجز]

ما رابني إلا الرقيب إذ نظرْ يسرّ حَسْواً ويدب في الخمر
كوى فؤادي وشوى قلبي ومر علم أجفاني إدمان السهر
كرهت أن أنعم في عيش خضر ذي غصن رطب وبرد في السحر
ته كيف شئت قد قمرت يا قمر نزعاً لأرواح العدى فقد حضر
شق عصا المنى وفي الأصل استمر وَيْبَ الوشاة فاسقني على الظفر
جارة بيتنا أبوك لو قدر سِمِ فؤادي منه خسفاً وضرر
كوري على الأعداء مرفوع الثغر به فرعت كاهل المجد الأغر

أرجوزة (* *) [الرجز]

سفينة لم تعتمل بنجر ولم يجب فيها عظيم أجر
تجري ولكن فوق ظهر البر تجرى ولا تجري بغير مُجْر

---

(١) في نسخة: (يورد).

(٢) ذكر الثعالبي أن هذه الأبيات أحاجية قالها في (فض برحشاني) مع بعض التغيير: ذكر (يهجن) بدلاً من (يهجس) في البيت الأول، و (حر) بدلاً من (جر) في البيت الثاني، و (يورد) بدلاً من (يذكر) في البيت الثالث، و (على) بدلاً من (علا) في نفس البيت.

(*) في النسخ الأخرى نفس العبارة أن هذه الأبيات موشحة ضمنها بيتاً فارسياً ـ والحقيقة أن وزن هذه الأبيات يجعله من بحر الرجز.

(* *) هذه الأبيات معمى ارتجالاً من بحر الرجز.

محمـــرة قــــــد أزرت بخضـــر　　أشبــه شيء نــاتئــاً بــالبظـــر
يـدخـل فيهــا كــذراع البكـــر　　أصلـع يـزهـى أصلـه بــالشعــر
ذي أخـــــــوات في ذراع عشر　　مشفعـــات شفعهـــا مـــن وتـــر
كـالشبر طـولاً عــرضـــه في فتر　　يــا نــائـم الفطنـــة غـــث الفكـــر
أخـــرج وإلا فمقـــص الشعـــر　　لما اعمّيــــــه مكـــــان مقــــر

جارية قبيحة المنظر(*)　　[الرجز]

جـــاريـــة تجلـــد حـــــد المفتري　　كـأن عبـد الله فيهـا قـد خـري
قبيحـــة المنظـــر ذات مخبـــر　　كـــأنها قـــد ضمخـــت بـــالعنبر
معشـــوقـــة في قـــدهـــا المختصر　　كـــأنها الدلـــو حـــذاء المشتري
تـزهـى بـــأذنين ورأس حجـــري　　أطعـــن منهـــا في ســـواء الثُّغَـــر
نســـألها عـــن عجـــر وبجـــر　　تصـدقنـا عـن مـــودعـــات الخبر
نعيـــــت فيهـــــن بمسى الأسر　　تسكـــــن في بيـــــت لها مسعـــر
تسفـــر عـــن وجـــه لهـا مخـدر　　مخـــردل مفلفـــــــــل مسعتر
ســـــوداء كــــالقــــار أو المقير　　في حجـرهـــا أبيـض مثـل القمـر
مطـــرز بـــالام مـــن ذات حـــر　　أخــــرج هـــــداك الله لا نقصر
إن كنت ذا حذق بها أو بصر

(*) هذه الأبيات قالها بديهة من بحر الرجز.

كفم الحبيبِ (*) [الكامل]

كفـم الحبيـب(1) كطـرفـه(2) | كقـويم قـامتـه كظهـري
كـابشـارتي في قبلـة(3) | كجـواب نـذل غير حـر(4)

ربيبة أمك (* *) [السريع]

مـاثقبـة ظـاهـرهـا أسـود | لكـنّ في بـاطنهـا حُمْـره
يـدخـل فيهـا كـذراع ولا | تـرى لمن أودعهـا صره
ربيبـة أمـك فـانظـر لما | تظهـر في إخـراجـه القـدره

ويبكي على الرأس (* * *) [الرجز]

أراه في كفـك بـالأسحـارِ | تـرشـف منـه صيِـب القطـارِ
ثمّت تـؤتَـى بعـده بـالنـار | تلـك لعمـري زينـة السفـار
وعـادة الملـوك والأحـرار | كالنَّـور أو كـالنُّـور أو كـالنـارِ
مُـدَمْلَـك الرأس لـدى انتشـارِ | زاد على شبر مـن الأشبـارِ
في راحـة الزهـاد والفجّـار | منهتـك الستر لـدى الأبصـار
ينـم بـاديـه على المضمار | يبكـي على الرأس بلا آستعبـار

(*) هذان البيتان من بحر الكامل من قافية المتواتر.

(1) وردت في الأصل الخبيب، والأصح الحبيب.

(2) في رواية (كخصرهِ).

(3) قِبْلة وليس (قُبْلَة) أو (قُبِله) كما جاءت في بعض النسخ.

(4) أي غير محرر، عبد.

(* *) هذه الأبيات قالها في معمية من بحر السريع، قافية المتواتر.

(* * *) قال هذه الأبيات في هنة ماء ورد. بديهة. من بحر الرجز.

الحنطة والتبن (*)

[الوافر]

وجدتك تدعي علم المعمى ... وتبحث سره بيد اقتداره
فقل لي ما طويل رأسه في ... حشاك وأصله في آست الحمار

غلام بواب الوزير (**)

[مجزوء الكامل]

وأنا الغلام لقطن خيـ ... ـط خياط خيَّاط الأمير
فيه يخاط صدار طفـ ... ـل غلام بواب الوزير

من خير حرة! (***)

[المنسرح]

ولدت من خير حرة ولدت ... لخير حر لطيب عنصرها
أو لا فأير الحمار في فمها ... فهو مناها إن قلت في حرها

قلبٌ صفا (****)

[السريع]

قلب صفا فيك وصدر السمور ... وحمرة كالنار في جام نور
انظر إلى حافد خاقان ذا ... بين يدي حافد بهرام جور
إن الذي قد فار من عينه ... لم يك من تنور نوح يفور

يا شيخ (*****)

[السريع]

يا شيخ إنك شاعر ... لا يصطلي أحد بنارك
رأسي ورجلي في حر أمـ ... ـك والمعلق من حمارك

(*) هذان البيتان قالها الهمذاني في الحنطة (القمح) والتبن وهما من بحر الوافر، قافية المتواتر.

(**) قالها في مجزوء الكامل، قافية المترادف.

(***) من بحر المنسرح قافية المتراكب.

(****) هذه الأبيات قالها في ترجمة معنى فارسي سمعه وهو من بحر السريع. قافية المترادف.

(*****) يحكي الهمذاني أنه قدم على «الصاحب من عباد» وله اثنا عشر سنة فبينما هو عنده في =

في غمرة اللهو (*) [الرمل]

غـافـل قـد خـاط عينيـه اغترارُ — ووراء النـوم مـوت ثم نـارُ
لا تكـن في غمـرة اللهـو جوحـاً — إن هـذا السكـر يتلـوه خمـار

ويلك هذا الزمان (* *) [البسيط]

ويلـك هـذا الزمـان زُورُ — فلا يَغـرنـك الغـرورُ
بَـرْوِقْ ومَخْرِق وكـل وأطـرق — واسرق وطلبـق لمن تـزورُ
لا تلتـزم حـالـة ولكـن — در بـالليـالي كما تـدور

= دار الكتب إذ دخل « أبو الحسن الحميري » الشاعر وكان شيخاً مبجلاً فقالوا له أن هذا الصبي لشاعر يعنون بديع الزمان فقال ليختبر ما عنده:

قـل لي إذا ثكلتـك أمـك — مـن يقـوم بـأمـر دارك
أو مـن يقـوم بمـا يهمـك — مـن شعـارك أو دثـارك

وكان له حمار قد أوقف بحذائه ووافق ذلك إدلاء الحمار فقال الهمذاني هذين البيتين ـ وأشار الهمذاني إلى الحمار فاستضحك الحاضرون وقضوا العجب من تلك الموافقة.

وبالنسبة لعلاقة الهمذاني بالصاحب فقد ارتحل البديع من همذان مسقط رأسه إلى بلدة الري، ليرد مورد الوزير الخطير كافي الكفاة « الصاحب بـن عباد » الذي كانت حضرته مجتمعاً يشخص إليه ذوو المواهب من العلماء والأدباء يغمرهم بحفاوته، ويغدق عليهم من صلاته، ويستحثهم على الشخوص عليه.. وقد عكف البديع على مكتبة الصاحب فتزود مما حوت من أصول العلم والأدب..

وقد أفاد البديع من صحبة الصاحب مالاً، كما أفاد من مكتبته علماً وأدباً.. حتى كانت بين الرجلين جفوة رحل بعدها إلى جرجان، فأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية، والعيش في أكنافهم، واختص بشيخهم « أبي سعيد محمد بن منصور »، ونفقت بضاعته لديه، وتوفر حظه من عادته المعروفة في اسداء الأفضال على الأفاضل. ولكن البديع كان لا يستقر على حال، فعزم على الشخوص إلى نيسابور، وأعانه « أبو سعيد » على رحلته وزوده بحاجته، فوردها سنة ٣٩٢ هـ.

(*) قال رحمه الله تعالى من بحر الرمل، قافية المتواتر.

(* *) هذه الأبيات من مخلع البسيط. قافية المتواتر. وهذه الأبيات تكشف لنا عن أن المصانعة والمداهنة، ولا الكذب ولا النفاق، والتقلب بين المذاهب، والاستكانة أحياناً والتعالي المصطنع لم يكن شيء من تلك الأخـلاق، بل لم تكن تلك الصفات كلها رذائل من وجهة نظر بديع الزمان الهمذاني، لأنه كان « ميكيافيلياً » بمعنى أنه يؤمن بأن الغاية تبرر أي وسيلة وهو المبدأ الذي طبقه في حياته، ودارت حوله

تأمل حكيم (*)

[البسيط]

إذا الدنيـــا تـــأملهـــا حكيم　　تبين أن معنـــاهـــا عبـــور
فبينـــا أنـــت في ظـــل الأمـــاني　　بـأسعـد حـالـة إذ أنـت بـور
زمـــان في قضيتـــه جـــؤور　　ودوار بمـــا تـــأبـــى دؤور
رضى بقضـائـه أو لست تـرضى　　فعـض يـديـك وانظـر مـا تصير

الخير (* *)

[المجتث]

عنـدي فـديتـك جـدْي　　شـــويتـــه ومضيـــره
فـــإن أتيـــت فخير　　وإن أبيـــت فخيـــره

ويحك ما أغرك؟! (* * *)

[السريع]

ويحك مـا أغـراك بـالحاضره　　رضيت بالدنيا من الآخـرهْ
يـا قيمـتي من غبـن ظـاهـر　　وسومها من صفقة خـاسره

= أكثر معاني أدبه. وهذه الأبيات ختم بها الممذاني «المقامة القريضية» وهو يصرح بمدئه جهاراً والذي جعله فلسفته وأساس سلوكه في الحياة.

(*) هذه الأبيات كان قد اقترح عليه أن يجيز قوله:

جيـــع فـــوائـــد الدنيـــا غـــرور　　وأكثـــر قـــولهـــا كـــذب وزور

فقال الممذاني هذه الأبيات على النفس ارتجالاً.

(* *) هذان البيتان كتبهما الممذاني إلى صديق له ـ وهما من بحر المجتث قافية المتواتر. ويقـال ان هـذا الصديق جاء له بعد ذلك قائلاً:

(لا نبيع الخير بالخيرة)

(* * *) هذان البيتان من بحر السريع. قافية المتواتر.

كتاب (*) [الطويل]

ولي صاحب لما أتاني كتابه ... نثرت على عنوانه قبلي نثرا
سرقت له شعراً ولو وصلت يدي ... سرقت له الشعرى ولم أسرق الشعرا

شربنا، التحفنا، اعتنقنا.. (* *) [المجتث]

ما كان ليلي ليلاً ... لكن نهاري أغرّا
سامرت فيه بطرفي ... بدراً وعوداً وخمرا
نكدّ عودين هذا ... جمراً وذلك نقرا
ثم شربنا وطبنا ... حتى انقضى الليل شطرا
ثم التحفنا إزاراً ... كتوأم اللوز قشرا
ثم اعتنقنا عناقاً ... يصيّر الشفع وترا
وما برحنا إلى أن ... صاح المؤذن جهرا
نادى المقيت وقام الـ ... ـغزال عني فمرا
وصرت أعلق ذيلاً ... مراً وأضرع مرا
لولا يرى الباب دوني ... لطار في السقف ذعرا
ولي المؤذن أجري ... دمي هنالك هدرا
والآن ليس لمجدي ... خرقي فقم لنسرا
أدر علينا كؤوساً ... نقهر بها الهم قهرا

(*) هذان البيتان قالها الهمذاني كرسالة، وهما من بحر الطويل، قافية المتواتر.

(* *) هذه الأبيات قالها الهمذاني من بحر المجتث، قافية المتواتر، وهي ترجمة لأبيات فارسية سمعها فأعجب بها، وقام بترجمتها شعراً.

يا تائهاً (*)

[السريع]

يــا تـــائهـــاً في لجة السكـــر	قـد جــاءه السيــل ولا يــدري
أنــت مــن البستــان في وحشــة	فكيـــف تستـــأنس بـــالقبر

يا رياض (* *)

[مجزوء الكامل]

غضي جفــونــك يــا ريــا	ض فقـد فتنـتِ الحورَ غمـزا
واقني حيـــاءك يـــا ريــا	ح فقد كددت[1] الغصن هـزا
وإلام قــومــي يـــا هـــزا	ر فقد فتقـتَ الأذن رمـزا[2]
وارفـــق بجفنـــك يـــا غما	م فقد خـدشـت الورد وخـزا
خلــع الربيـــع على الربـــى	وربــوعهـــا خـــزاً وبـــزا
ومطـــارفـــاً نقشـــت لهــن	أنـامـل الأنــواء طـــرزا[3]
أســـر المطـــــي إلى المـــدا	م على جنـــيّ الـورد جمـــزا
أو مـا تـــرى الأقطـــار قــد	أخذت مـن الأمطـار[4] عـزا
أوليـــس عجـــزاً أن يفـــو	تـك حسنهـا أو ليس عجـــزا

(*) هذان البيتان من بحر السريع، قافية المتواتر، حرف الراء المكسور.

(* *) ذكر الثعالبي هذه القصيدة في (ص ١٩٧) من يتيمة الدهر وقال إن الهمذاني ذكرها في مدح أبي القاسم ابن ناصر الدولة.

(١) عند الثعالبي (كدرت).

(٢) هذا البيت لم يذكره الثعالبي.

(٣) عند الثعالبي:

ومطـــارفـــاً قـــد نقشـــت	فيهـــا يـــد الأمطـــار طـــرزا

(٤) عند الثعالبي: (أخذت من الأقطار عزاً).

حلــــت عــزاليهـــا السما ء فعــادت البيــداء نــزا [1]

خلقـت يـداك على العـــدا سيفـــاً وللعـــافين كنـــزا

يـــا أيهـا الملـــك الــذي بعســاكــر الآمــال يغــزى

فكـــأن أمطـــار الربيـ ـع إلى نـدى كفيـك تغــزى

مـا للــرجــال إذا عِــدا ك تـذل مـن خجــل وتخزى

والمدح طلـــق مـــا عنـــا ك فـإن عـداك تجده كــزا

حتى إذا دُعيـــتْ نَــزا لِ وأزّت الهيجـــــاء أزا

كنــت ابــن بجدتها المحكـ ـم سيفـــه حـــزاً وجـــزا

وإذا تشققـــت الصفـــو ف خـرزتها بـالـرمـح خـرزا

أنـــت الأميـــر على الحقيقـ ـة أن يكنُـهْ سـواك نبــزا [2]

لا زلـــت يـــا كنـــف الأميـ ـر لنـا مـن الأحـداث حـرزا

---

(١) هذا البيت بعده عند الثعالبي:

وكـــأن أمطـــار الربيـ ـع إلى نـــدى كفيـــك تعــزى

يـــا أيهـا الملـــك الــذي بعســـاكـــر الآمـــال يُغــزى

خلقـــت يـــداك على العـــدا سيفـــاً وللعـــافين كنـــزا

والمـــدح طلـــق مـــا عنـــا ك فـإن عـداك تجـده كـــزا

لا زلت يا كنف الأميـ ـر لنـا مـن الأحـداث حـــرزا

(٢) لم يذكر الثعالبي الأبيات ٣، ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨ من هذه القصيدة.

وهذه القصيدة من مجزوء الكامل قافية المتواتر.

حرف « السين »

ظبية الوحش (*)

[المجتث]

لا والــذي شـــق خمســـي	مـــا غير وجهـــك شمسي
يـــا ظبيـــة الوحــش إني	صريـــع ظبيـــة انـس
إذا شكـــوت هـــواهـــا	قـــالـــت عليّ بفلـــس
يـــا ســـائلي كيــف تمسي	أخـــو الهـــوى كيــف يمسي
إنـــي لأدهـــش حتـــى	أكـــاد أنكـــر نفسي
أبيـــت والعشـــق قيـــدي	ورقعـــة الأرض حبسي
غـــداً كيـــومـــي ممـــا	ألقـــى ويـــومـــي كـــأمسي
يـــا مفـــرِدي بـــالتقلّـــي	وآمـــري بـــالتـــأسي
لم يكترث منـــك ضرسي	إن صـــار ينـــزع ضرسي
يـــا عـــاقـــداً في المعـــاني	مـــن كـــل فـــن وجنـــس
سمـــوّ فـــرع ونفـــس	وطيـــب أصـــل وغـــرس
وبـــانيـــاً لأمـــور	تـــزيـــل أركـــان قـــدس
يـــا ابـــن النبي كفـــاني	مـــن الثنـــاء وبسي
بـــأيّ مـــدح ألاقـــي	وأي ظـــنّ وحَـــدْس
مـــن بـــالصـــلاة عليـــه	ذكـــر الملـــوك بخمـــس

(*) من حرف السين، قالها في السيد أبي الحسن مادحاً إياه، وهي من بحر المجتث قافية المتواتر.

ومـن حـوى كـل سعـد		وغـاب عـن كـل نحـس
لله أنـت أشخـص		أراه أم روح قـدس
ظفـرت مني بعلـق		فـلا تبعنـي ببخـس
ولا تخنـك الليـالي		فيما تبيـع بـوكـسِ

النرجس والعين (*) [الرجز]

يـروعـك النرجس منـه النـاكسـه		بعين يقظـى وبجيـد النـاعسـه

أبا سعد رويدك (* *) [الوافر]

أبـا سعـد رُوَيْـدَك في مـراسـكْ		ولا تبرز بكيـدك لي وبـاسـكْ
أغـرك فـرط حلمـي واحتمالي		لـرجعـة خـاتمي قبـل احتبـاسـك
فـإن لم أرتجعـه منـك صغـراً		فتحـت عمامتي رأس كـراسـك

(*) هذا البيت يصف فيه النرجس، وهو من بحر الرجز، حرف السين.

(* *) واضح ضجره من أبي سعد هذا، لدرجة أنه قرر فتح عمامته رأس كرأسه.

والأبيات من بحر الوافر ـ قافية المتواتر.

حروف
« الشين و « الصاد » و « الضاد »

سبحان ربي (*) [السريع]

يقتلني بـاللحـظ مـن لحظـه يظهـر منـه أثـر الخدشِ
في نفـرة الوحش كما أنـه في حسنـه يحكـي ظبـا الوحش
قـولي إذا أبصرتـه مـاشيـاً سبحـان ربي خـالـق العـرش

غُرر المعاصي (* *) [الوافر]

ألا يـا راكبـاً غـرر المعـاصي ستعلم يـوم يـؤخـذ بـالنـواصي
تـذكـر مـا يقـص عليـك منهـا وجـانـب مـا يعـرض للقصـاص
فـإن لم تترك الدنيـا خـرابـاً فقبرك غير معمـور العـراص
وإن لم تخلـص الأعمال منهـا فلسـت مـن الجحيم بـذي خلاص
وينشـب بـالفتى ظفـر المنـايـا ولـو أن الفتى للأسْـد خـاص

(*) هذه الأبيات من حرف الشين، بحرها السريع على قافية المتواتر ـ وفيها يصف الأسد.

(* *) هذه الأبيات قالها في الوعظ ـ وهي من حرف « الصاد » بحرها بحر الوافر، قافيتها قافية المتواتر.

واقتضي الناس (*) [الرجز]

أنعـــت جهماً لم أجـــد فيما مضى ... أنكـــر منـــه حليـــة ومعـــرضـــا

لما انـــزوى في مَسكـــه وانقبضـــا ... ثم تمطـــى وسطَـــا وانتفضـــا

ثم أتـــى ركـــب الفلا معـــرضـــا ... يطفـــر كـــالبرق إذا مـــا أومضـــا

يطـــم كـــالسيـــل إذا مـــا حفضـــا ... يـــزأر كـــالـــرعـــد إذا تخضخضـــا

يغض عـــن أوسع مـــن صحـــن الفضـــا ... يكشف عن ارهف مـــن غـــرب القضـــا

يطـــرق عـــن أوقـــد مـــن جمر الغضى ... أحمـــر مـــن غيـــظ يقـــاني أبيضـــا

كما نجرت العـــود في مـــاء الأضـــى[1] ... مـــا راح عـــن معـــرســـه لينهضـــا

إلا انتصبنـــا للمنـــايـــا غـــرضـــا ... بين يـــدي أوهـــى وظهـــر أنْقَضـــا

وظلـــت أنضي صـــارمـــي لـــو انتضى ... أو علقـــت يمنـــاي منـــه المقبضـــا

وأقتضي النـــاس ومـــا حين اقتضـــا ... والموت قـــد صرح بي وعـــرّضـــا

فقلـــت عـــن ملء ضلـــوعـــي مـــرضـــا ... وحـــر أحشـــاء تلظـــى نبضـــا

لمهجـــة لـــو رمـــت منهـــا عـــوضـــا ... لم تكـــن الأرض ومـــا فيهـــا رضى

يـــا للـــرجـــال الخطـــر المغمضـــا ... أدلـــف بـــالسيـــف لـــه مخضخضـــا

ثم قضـــى الله وخيراً مـــا قضـــى ... فحين صححـــت المصـــاع عـــرضـــا

وغـــض مـــن نجدتـــه وغيضـــا ... وقلـــت لا أفلـــت مني معـــرضـــا

حتى أراك أو تـــراني حـــرضـــا ... حـــاش لما أبـــرمتـــه أن انقضـــا

يـــا آكـــل الخلـــة بي تحمضـــا ... أرضَـــك لا أرض ولا مـــرتكضـــا

أسقـــك مـــن مـــاء ظبـــاه رفضـــا ... فكـــر نحوي حنقـــاً ممتعضـــا

معبســـاً لـــوجهـــه محمضـــا ... في بـــردة الموت إذا تعـــرضـــا

وصرت حـــرّانَ إليـــه غـــرضـــا ... ببـــاتـــر الغـــرب إذا هـــز مضى

(*) هذه الأبيات مَدَحَ بها الهمذاني أبا علي الوزير وفيها يصف (الأسد) وهي من بحر الرجز.

(١) الأضى: جمع أضاءة وهي المستنقع من سيلٍ وغيره.

فقدك من لَيْشَيْءَ لما نهضا تعاطيا كأس المنايا عن رضى
بحالة بات لها معرضا من كان لا يصفى الولاء ممحضا
لآل طه والوصيّ المرتضى أبا عليّ ارعني سمع الرضى
حتى أطيل في الثناء وأعرضا حجر على عيني أن تغتمضا
ولم أود شكرك المفترضا ناظم آمالي وكانت رفضا
ومالِيء المنزل مني حفضا غدت أياديك لجسمي عرضا
بقيت ما شئت بقاء مرتضى يحكم من عقد المنى ما انتقضا
يبسط من عطف العلى ما انقبضا يصفي من الغر علينا ما انتفى
يعيد من عز المعالي ما انقضى يوضح من سر النهى ما غمضا
يقيم من أقدامنا ما دحضا يسيغ من آمالنا ما اعترضا
يسأل من حاجاتنا ما عرضا آمين قال العبد والله قضى (*)

بيت للصيف (**)

[المجتث]

أعددت للضيف بيتاً لا يسكن الضيف أرضه
له معارج تبر على مدارج فضه
جعلت خديّ بعضاً له وقدك بعضه
فجاء أحسن بيت يناسب الطول عرضه
بيت إذا لم تزره إليك يسرع نهضه
له معاطف شتى وخارج الدر فرضه
يأويه ذو فسوات له نواجذ عضه
له نواجذ حمر فيها ظرائف غضه

(*) هذه الأبيات تكملة لما قبلها وهو يواصل فيها مديحه لأبي علي الوزير ويصف الأسد. ولعله أراد أن يربط بين صفات الأسد وصفات الممدوح.

(**) في هذه الأبيات يصف (المِجْمر) وهي من بحر المجتث أما القافية فهي قافية المتواتر.

يفسو عليك فساء | لا تألم النفس بعضه
إذا مددت إليه | يمناي آبت بعضّه
رأيت عرفك يانا | له وعِرضَك عرضه

العمر والزمان (*)

[الكامل]

راضٍ كَلا أو ساخط كالراضي | والعمر دَين والزمان تقاضِ
وإذا الزمان أتى بأسود واقف | من خَطْبه فاطلع بأبيض ماض
لا تأس إن هلكت قريظة فآتبع | آثارها بالنابح العَضاض
وإذا غنِيتَ ولم تصل رحماً ولا | جاراً فلا سلمتْ من البَرّاض
غضب ابن عباد على حجابه | يوماً فأنشدنا أبو الفياض
(لا ترحم الأعمى وزده ضَعْفة | إن المريض أحق بالأمراض)
وإذا رأيت الله خصّ عصابة | بكرامة محسودة الأعراض
فاعلم بأن الله لم يغلط ولم | يُسرف وأن الله أعدل قاض
الله طوّقك الرياسة بعدما | أعيت سياستها على الرُّوّاض
إن المكارم لا يلقن بواحد | ولَوَ آنهن شددن بالأرباض
ويردن آخر لا يرِمْنَ فِناءه | ولوَآنهن فصِلن بالمقراض
سفرت لك الأيام عن وجناتها | ورنت بألحاظ إليك مراض
ثوت الرياسة عند بيتك من لدن | عهد السَّمَيْذَع والأمير مضاض
ومتى أشاء رتعت في أيامكم | ما بين غدران وبين رياض
سُحب الربيع الغُر أم شهب الدجا | أم شُم رَضْوى أم أسود غياض
سعدا وذا البردين والحكم الذي | أعطى هنية وابن ذاك القاضي

(*) هذه القصيدة المطولة من بحر الكامل والقافية قافية المتواتر وهي من الضاد..
وفيها يمدح رئيس هراة.

زيــد الفــوارس والأُعَيْسِــر والفتى ... قيس بــن مسعــود وذا الأحفــاض

خـال الفـرزدق ذا الفَعـال وأرشـدا ... سهـم وضـنء مُـزاحِـم بـن عيـاض

زيــد بــن عبـدالله عــامـر الذي ... أهـــدى إلى غســان ذل تــراض

وعصابـة حبســوا المحـرّق ليلـة ... حتى علــوا جنـح الـدجى بتهـاض

وأبـا سراج إن ذكـرت ومَـرْثِـدا ... وقبيصــة بـــن ضرار الخــواض

وابنَــيْ أُبيّ إن عــددت ومــن لــه ... ذات الرمـاحِ وجـامـع الأوفــاض

يــا أيها الرجــل الذي يــرتــاب بي ... كنـا وكنـت وكـان فعـل مـاض

هـــذا الرئيس وهـــذه آثـــاره ... وسنــا المكــارم ظــاهــر الايماض

عـدنـان كم لـك مـن يـد فضفـاضـة ... مـن لي بشكـر مثلهـا فضفــاض

إن أنس يـوم الزنـج مـن أيـامكـم ... فخلا إذَنْ جسمـي مــن الأعــراض

ولقد منحت من الجزيـل وفـزت مـن ... حســن الثنـاء بــأنفَس الأعــراض

ولَــو أن مــا أعطيتنيـــه سلبتني ... لــوجــدتني مــاءً على رضراض

يـــا أيها الشيــخ الرئيس خفيـــة ... هــي بين إغضــاء وبين تغــاض

قد طـال مكثي في هـراة فهـل لكـم ... في أن أوليكــم قفــا الاعــراض

ولـــو أنني مـــاء الحيـــاة لملـــه ... وُرّاده وتنكبـــوا أحـــواضي

أحسنتم يـــا للكـــرام ضيـــافتي ... عنــد الورود فـــأحسِنــوا إنهاضي

مدح لرجلٍ من نسا (*) [الكامل]

ولقد دخلت ديار فارس تاجراً ... أبتاع ما فيها من الأعراض [1]
فإذا نسا فيها رجال سادة ... لهفي على ذاك الزمان الماضي
وبعهدنا بك يافعاً وبخالد ... حدثاً تنسك يا أبا الغياض
وأراك شخت ومن يشخ بذر النسا ... منه بمنتجع من الأمراض
والشيب في الإسلام حسبك مفخراً ... في عارضيك فلا تدع لبياض
وأظن هذا الشيب في استيفائه ... سنة الضحى هي في العيون تغاض
وإذا اللحى ريشت فسوف ترى اللحى ... يصد الرياش تقص بالمقراض

الثريا والشعر (* *) [المجتث]

فلو نظمت الثريا ... والشعريين قريضا
وصغت للدر ضداً ... وللهواء نقيضا
بل لو جلوت عليه ... سود النوائب بيضا
أو ادعيت الثريا ... لأخمصيه حضيضا
والبحر عند لهاه ... يوم العطاء حنيضا

(*) هذه الأبيات من بحر الكامل، قافية المتواتر.

(١) هذا البيت والذي يليه وجدتها عند ياقوت في معجم الأدباء ويقول ان الهمذاني قالها وأراد التحميض [والتحميض: الإفاضة في الأحاديث المستملحة والفكاهات المستعذبة] كما يقول أهل بغداد، ومعناه عندهم غير ذلك ووجدت كلمة (تاجراً) في البيت الأول (مرة) عند ياقوت، وفي البيت الثاني في المطبوع نسا بالنون ويظهر مما قاله ياقوت (فإذا فسا فيها رجال سادة) أن ذلك غلط.

(* *) الأبيات من بحر المجتث، قافية المتواتر، وهي من رقعة كتبها إلى الرئيس أبي جعفر الميكالي.

حرفا
« الطاء » و « الظاء »

البساط والخياط (*)

[السريع]

إشرب فقـــد آن أوان النشـــاطْ　　سرور ذا الدســت وهــذا البســاطْ
واستعِـــدِ النغمـــة مـــن شـــادن　　يحكم في الأرواح حكـم اشتطـــاط
سرقــت مـــن طـــرتـــه شعـــرة　　حتى غـــدا يمشطهـــا بـــالمشـــاط
ثم تـــدحـــرجـــت بها مثقـــلاً　　تـــدحـــرُج الشيء تحـت الخيـــاط
قـــال أبي مَـــن ولـــدي منكما　　كلاكما يـــدخـــل سم الخيـــاط

لا : للاستقرار (* *)

[السريع]

إن لله عبـــــــــاداً　　أخـــذوا العمـــر خليطـــا
فهـــم يمســـون أعـــرا　　بـــاً ويضحـــون نبيطـــا

(*) هذه الأبيات من بحر السريع ـ قافية المتدارك.

(* *) إن الهمذاني لا يثبت على رأي، ولا يستقر على حال، وإنما يلبس لكل حالة لبوسها.

أبو الفضل (*) [الخفيف]

يـا أبـا الفضـل قـد تـأخـر بطـي فلماذا وفيم هـذا التبطـي
هـات بطـي وخـذ مقطـي وإن لم تـك بي واثقـاً فـدونـك خطـي

أبو الفضل (* *) [الخفيف]

يـا أبـا الفضـل مـا وفيـت بشرطـي لا ولا قمـت في الوفـاء بقسطـي
كنـت أهـديـت لي بـزعمـك بطـاً فلماذا حبستـه يـا عبطـي
وأراك احتقـرت ذاك فمهـلاً إنمـا ينقـض الوضـوء بضرط

(*) البيتان من بحر الخفيف ـ قافية المتواتر ـ وهو يخاطب صديقاً له وعده البط.

وبحر الخفيف أجزاؤه ستة:

فاعلاتن مُستفع لُن (مرتان)

ومن أمثلته قول ابن أبي ربيعة:

مـن رسـولي إلى الثريـا فـإني ضقـت ذرعـاً بهجـرهـا والكتـاب
أبـرزوهـا مثـل المهـاة تهادى بين خمـس كـواعـب أتـراب
وهـي مكنـونـة تحير منهـا في أديـم الـخديـن مـاء الشبـاب
ثم قـالـوا تحبهـا؟ قلـت: بهـراً عـدد النجـم والحصـى والتراب

ومن أشهر قصائد الخفيف في شعرنا معلقة الحارث بن حلزة، وقصيدة الأستاذ/ العقاد (وردة محزنة).

وفي الأغاني يشغل الخفيف ٤٪ من أشعار أجزائه.

وعند أبي فراس يشغل ٤٪ من ديوانه مع المتقارب.

وفي ديوان البارودي ٦٪ من قصائده بحر الخفيف.

وفي جمهرة أشعار العرب ٥٪ منها بحر الخفيف بالاشتراك مع الرمل والمتقارب.

في المفضليات ٥٪ ، في ديوان العقاد ١٠٪ ، في ديوان أنات حائرة لعزيز أباظة ٢٢٪ ، في ديوان الملائح التائـه ١٦٪ ، في رواية العباسة ٧٪ ، في (هكذا أغني) لمحمود حسن إسماعيل ٣١٪ ، في صرخة في واد لمحمـود غنيم ٨٪ ، في ديـوان رامـي ٥٨٪ ، في روايـة مجنـون ليلى ٤٪ ، مصرع كليوباترا ٨٪ ، بالاشتراك مع الرجز ، في ديوان حافظ ١٥٪ بالاشتراك مع الطويل، ديوان المتنبي ٩٪ ، البهاء زهير ٣٪ ، مهيار الديلمي ٣٪ بالاشتراك مع المنسرح، ابن معتوق ٨٪ ، البحتري ١٧٪ ، أبو نواس ٤٪ ، أبو العتاهية ٦٪ .

(* *) مرة أخرى يعاتب الهمذاني أبا الفضل على موضوع البط، والأبيات من بحر الخفيف، قافية المتواتر، حرف الطاء.

أبو الفضل (*)

[الطويل]

أبا الفضل لا تشدد يـديـك على بطـي ولا تك مـن لفظـي وخطـيَ في خـطٍّ

ولا تستـــزدني إن أتتـــك مـلامتي تنبّيـك عـن بطـي وأنـت على الشـــط

أبو الفضل (* *)

[الخفيف]

يـا أبـا الفضـل بـــطٍّ فضلـــك بـــطٍّ واتعـــظ فـــالجميـــل أجمل وعـــظ

ويْحَـــك آبعـــث بــــه إلي وإلا فتـــوقَّـــع ثمار خطـــي ولفظـــي

(*) للمرة الثالثة يعاتب الهمذاني أبا الفضل على موضوع البط، ولكن هذه المرة من بحر الطويل، قافية المتواتر، حرف الطاء.

(* *) البيتان إلى صديقه أبي الفضل يعاتبه في المعنى المتقدم وذلك أنه سأله إعارة كتاب فأبى أن يعيره وكـان وعده ببطءٍ فأخر فكتب له على طريق المداعبة والمطايبة من الخفيف، قافية المتواتر.

حرفا
« العين » و « الغين »

عندما يأبى الدهر (*)

[مجزوء الرمل]

وأبـى الدهـر لقـد جَـذ مِـن السـودد فـرعـا
وغـزا بـالـرزء قـرمـاً لم يضـق بـالسـؤل ذرعـا
ولئـن أحسـن إسعـا فـاً لقـد أوجـع وجْعـا
جلـداً لا زلـت تعـدّ ي مـن سماع السـوء سمعـا
جَلـل جـاءك لكـن لم يُفِـض عينيـك دمعـا
إنمـا نحـن لأحـداث الـ ـردى مـاء ومـرعـى
كـل وثـابٍ على الدهـ ـر ليـوم فيـه يُـدعـى
إنمـا نحـن مـن الأيـ ـام إعطـاءً ومنعـا
لعلى أُرجـوحـة تُـو سِعنـا خفضـاً ورفعـا
ومتـى تختبـر الأيـ ـام لم تـأتـك جـدعـا
تَـرَ وَجْـه النفـع أضـرا راً ووجـه الضر نفعـا
رب قطـع يتـح الوصـ ـل ووصـل هـاج قطعـا

(*) هذه الأبيات من حرف العين، قالها في رثاء ولد أبي نصر إسماعيل الجرجاني - وهي من مجزوء بحر الرمل، استخدم فيها قافية المتواتر.

وكـــريـــه جمعـــت فيـــه لـــك الخيرات جمعـــا
ويـح للمـوت أستبَـى مـن لم يكـن للقـاع فقعـا
شرفـــاً كنّـــا بـــه نعْـــمـــر للآمـــال ربعـــا
ويـــداً ظلنـــا بـــه نســـطـو على الأيـام ضبعـا
قُطـــع الضهـــر بـــه أو ســـع ظهـــر الموت قطعـا
ولقـــد قلـــت لمـــن أقـــبـل بـالمفقـود ينعـى
حـــرس الله على الـــوالـــد طـــول العمـــر درعـــا
يخلـــف الله عليـــه بـــدل الواحـــد سبعـــا

عهد لا يضاع (*)

[الطويل]

ليهنك عهـد لا يضـاع وإن نـأت نـواك وسر لا يـذاع فيسمـعُ
وأجفـان عين لا تـرى الشمس غيره إذا هـي مـن تلقـاء أرضـك تطلـع
أؤمـل أن ألقـاك لـو أجْـدت المنـى وأزجـر فيـك الطير لـو كـان ينفـع
يـذكـرنيـك البـدر ليلـة تمـه ووالله مـا أنسـاك لـو كـان يـرجـع
سـأسكـت حتى يجمـع الله بيننـا فـإن نجتمـع أفشيـت مـا أنـا مـودع
وإن تُـدِل الأيـام لي مـن يـد النـوى بثثـك أمـراً دونـه أتقطـعُ

يا نفس صبراً (* *)

[الوسيط]

يا نفس صبـراً وإلا فأهلكـي جـزعـاً وقـلَّ أن تتشظـي في الهوى قِطعـا
أفضت دمعاً ولو أنصفتِ فضـتِ دمـاً ولو عـدلـتِ لفـاضـت مقلتـاي معـاً
وَيْـبَ[1] الليـالي لقـد ألفيتهـا غـدراً ويـل الأمـاني لقـد لاقيتهـا خـدعـا

(*) هذه الأبيات العينية من بحر الطويل، قافية المتدارك والبعض يقول انها في حبيب والآخر يقول انها مدح في عظيم.

(* *) هذه الأبيات من بحر البسيط، قافية المتراكب، قالها ليرثي أخا الأستاذ أبي علي الحسين بن أحمد الوزير.

(١) ويب الليالي ـ في رواية (وي بالليالي).

للهـدم مـا شيـد البـاني وللـرد مـا سعـى المجـدّ وللتفـريـق مـا جمعـا
دعـا الزمـان ولا لَبّيـه حين دعـا وإن أجبـت ولا سَعْـدَيْـه حين سعـى
ولا كـرامـة بـالبرد التي طـرأت ولا مسرة بـالنجـم الذي طلعـا
أيعلم الليـل مـا أهـدى الصبـاح لنـا من النكير أيـدري الدهـر مـا صنعـا
أيعلم النـاعيـان استـكَّ سمعهما بـأيّ داهيـة أسماعنـا قـرعـا
وفيم لم تعـم عين الدهـر إذ لحظـت وكيـف لم يخرس النـاعـي غـداة نعـى
خطب تـرفَّـع عـن شـق الجيـوب لـه وقـد شققنـا لـه الأضلاع لـو نفعـا
خطـب أفـاض ولا أهلاً بخلعتـه على الملـوك لبـاس الثكـل مـدَّرَعـا
يا بؤس مقْدَمها مـن نكبـة طـرقـت وشـؤم مُصْبحـه مـن حـادث وقعـا
لا غـرو إن فضـتُ تـأسـاءً وتعـزيـة بما أفيـض ولا كفـرانَ إن أدَعـا
فـإن نطقـت فـإن الوجـد انطقني وإن سكـت فعظـم الرزء مـا صنعـا
يـا مـن بـه يُقتـدى في كـل صـالحة وينتحـى في المعـاني رايـة تبعـا
أفضى أخـوك لما أفضى النبي لـه وصنـو ه أفلا تـرضـاه متبعـا
قـد شرف الله مثـواه وعـرّفـه ونـال مـن درج الجنـات مفترعـا
إن تحمـد الله شكـراً عنـد نعمتـه فـراقـب الله صبراً عنـد مـا رجعـا
أو كنـت تعلم أن العـالمين غـدوا فيما مُنيـتَ بـه مـن حـادث شرعـا
فـالصبر أجمل إلا أن يكـون أسى يـرده فـإذَنْ لا تـأتلي جـزعـا
شر ألم فلـم تملكـك نكبتـه على الإلـه فبشر منـه مـا دفعـا

اغنم الأيام (*)

[الرمل]

قسمـاً لا زعـزع الشيـ ـب عـن اللهـو رتـاعـي
ويمينـاً لا تمثلـ ـت لـه فَقْعـاً بقـاع

(*) هذه القصيدة من بحر الرمل، بقافية المتواتر، وجاءت بتمامها وكمالها عند الثعالبي ص ١٩٩ من الجزء الرابع لليتيمة.

إنمـــا الدهـــر الذي يصـــ ـــدقني حـــر المصـــاع
كـــالني مُـــدّاً وأجـــزيـــ ـــه مـــن الحلم بصـــاع
فـــاغنم الأيـــام مـــا أ لفيتهـــا خضر المراعـــي
إنمـــا نحـــن مـــن الدهـــ ـــر بـــواد ذي سبـــاع
لا تـدع مـن لـذة العيـــ ـــش عيـــانـــاً لسماع

وللموت أنواع! (*)

[مجزوء الوافر]

لئـــن أحـــرزك الداعـــي لقـد أحـــزنني النـــاعـــي
وإن بـــت بجعجـــاع لقـــد بتنـــا بـــأوجـــاع
وقـــد ينقسم المـــوت إلى عـــدة أنـــواع
أرب القصـــر والمنظـــر مـــا بـــالـــك بـــالقـــاع
أيـــا مـــن دونـــه الموت بنفسي وبـــأشيـــاعـــي
ويـــا مـــؤنس آمـــالي ويـــا مـــوحش أطماعـــي
ويـــا لـــوعـــة ثكـــلاه ويـــا حـــرقـــة أضلاعـــي
لقـــد كنـــت أرجيـــك لما يسعـــى لـــه الســـاعـــي
ومـــا تسمـــو لـــه نفسي ولا يـــدركـــه بـــاعـــي
إذا لـــم يـــــرد الله بـــأيـــامـــك إينـــاعـــي
فقـــد تيبس أنفـــاسي وأيـــامـــيَ إيجاعـــي
لكنـــا مـــن أبي القســـ ـــم في عشرة قعقـــاع
وكنـــا كلما شئنـــا نـــرى روح بـــن زنبـــاع
فتى كـــالغصـــن الرطـــب ولا كـــان بـــزعـــزاع
فتى كـــالسيـــف لا تحر على أرزق نَبّـــاع
ســـأبكيك عـــن الدنيـــا وعـــن سبعـــة أسبـــاع

(*) هذه الأبيات من مجزوء بحر الوافر استخدم فيها قافية المتواتر. وهي أبيات للرثاء يرثي فيها صاحباً له.

وعـــن ســـائـــر أبيـــات   وعـــن نـــادر أسجـــاع

ولما بكـــر النـــاعـــي   وصمَّـــت اذن الواعـــي

لطمنـــا وتنـــاوحنـــا   بـــألحان وإيقـــاع

رعينـــا كـــرم العهـــد   ولا حملـــة فقـــاع

إلى حيـــن نسينـــاك   فغمضنـــا لتهجـــاع

وأخلـــدنـــا إلى الْمُـــدّ   ومـــا كنـــا على الصـــاع

كـــذاك النـــاس خـــداع   إلى جـــانـــب خـــداع

يعيشـــون مـــع الذئـــب   ويبكـــون مـــع الراعـــي

ومـــا الحرص ببـــدع لا   ولا الغـــيّ بـــإبـــداع

أبـــونـــا نسي العهـــد   وكنـــا شر أتبـــاع

فلا أعجـــبُ مـــن عِـــرق   إلى الوالـــد نَـــزّاع

كلام الشيخ (*)

[الوافر]

كلام الشيـــخ مـــولانـــا كلام   تنـــاهـــى في الملاحـــة والبلاغـــة

فلـــو شرب المصيـــخ إليـــه سمعـــاً   على ألفـــاظـــه سمّـــاً لســـاغـــه

(*) هذان البيتان من حرف (الغين) وهما من بحر الوافر. قافية المتواتر.

حرف « الفاء »

دار (*) [مجزوء الكامل]

دار وسمـــت عـــراصهـــا تحكي الأبــاطــح والرصــافــه
دار النبـــــوة والمـــرو ءة والخلافـــة والضيـــافـــه
فيهـــا المصـــاحـــف والمطـــا رف والســوالــف والســلافــه
لا زلـــت يـــا دار الكـــرا م مصـــونـــة مـــن كـــل آفـــه

خلقت كما ترى! (* *) [الوافر]

خلقت كما تـرى صعـب الثّقـافِ أرد يــد المعـــانـــد في الخلاف
ولي جســد كـــواحـــدة المثـــاني لـــه كبـــد كثـــالثـــة الأثـــافي
هلم إلى نحيـــــف الجســم مني لتنظــر كيــف آثــار النحــاف
ألم تــر أن طــائشــة لظــاهـــا نتيجة هــذه القصــب العجــاف[1]
صحبـت الدهـر قبـل نبـات فيـهِ فلا تغـررك[2] خـافيـة الغـداف
نـزلـت مـن الزمـان ومـن بنيـه على غصنين مـن شجـر الخلاف

(*) هذه القصيدة من حرف الفاء، وقد كتبها على جدران دار السيد أبي جعفر الموسوي بطوس، وهي من مجزوء بحر الكامل، على قافية المتواتر.

(* *) في هذه القصيدة يفخر ويمتدح الهمذاني الشيخ أبا نصر بن زيد ـ وبحرها بحر الوافر وقافيتها قافيـة المتواتر ذكر الثعالبي منها في يتيمة الدهر الأبيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ١٠، ٢٧، ٢٨.

(١) عند الثعالبي (القضب الضعاف) وليس (القصب العجافِ).

(٢) عند الثعالبي (فلا يَغررك خافية العذاف).

فلم أصحب عدواً في صديق ... ولم أشرب ذعافاً في سلاف
ولم أر غير معتنقين وجداً ... وبينهما خلاف في غلاف
على شفتيهما ضحك التهاني ... وفي كبديهما وخزُ الأشافي
ولو شاء الزمان قرار جاشي ... لأسمعني نداء أخ مصاف[1]
تركت بني المعاطف والزوايا ... أريد بني الحشية واللحاف
ضربت صروفها أنفاً وعيناً ... فألفيت المنى قسم الجزاف
وإن يكن الوزير سما إليها ... بكاف من كمال اللب كاف
فآخر قد تسنَّم مرتقاها ... بقاف في الرقاعة مثل قاف
ولا سيان في درج المعالي ... إذا ميزت مرتفعاً وطاف
قواف لا أزوجهن إلا ... مكارم لا تقاضاها القوافي
فياف لا ألز بهن إلا ... إلى صدر كأعطاف الفيافي
وضاق الذرع من منن ثقال ... أعود بها على منن ضعاف
وقالوا ما وراءك قلت ما لم ... تُنِله كفٌّ معط كف عاف
وامدح من قريضي الشعر عوداً ... جنيت له الحوافر بالخفاف
وزير الشرق أنبت لي جناحاً ... عقابيّ القوادم بالخوافي
فطرت ومن يمس بجناح مثلي ... يطر والعود أحمد والتلافي
وأنزلني جوارَ الأزد ليثاً ... ولقاني نصيباً في انصراف
ألا هل مبلغ هَمَذانَ أني ... وردت الفلك من جهة السوافي
أودّع كعبة المحتاج منه ... ولما أقض أُسبوع الطواف
فإن أرحل فعن حسب كريم ... وعن خلق كماء المزن صاف
أبا نصر نقصتك صاع قولي ... بصاعِ[2] الفعل من نعماك واف
متى يسطيع عد علاك لفظي ... متى ينجز[3] على البحرِ اغترافي

---

(١) عند الثعالبي (أخٍ مصافي) وليس (أخ مصاف) ولا فرق.

(٢) في رواية (وصاع).

(٣) في رواية (متى ينجز على البحرِ اغترافي).

الخوف من الثمانين (*) [السريع]

عشرون من عمري تَنَفَّيْتَهـا — تحيفتني وتحيفتهـا
لا وأبي الدهـر يميناً لقـد — تـوسطتني وتطـرفتهـا
هـن بقـرط الزق شنفنني — وبالمساعي الغـر شرفتهـا
شتان ما جرن وجازيتهـا — وشد ما جارت وأنصفتهـا
أني بعشرين تصاريف ما — بعـد الثمانين تعـرفتهـا
لم تـك عشريـن ولكنهـا — غـرة أيـامـيَ أردفتهـا
ريقـة العيشـة خلفتهـا — وريقـة العمـر تـرشفتهـا
أخشـى الثمانين على أنهـا — أقصى أمـانيّ وإن خفتهـا
وأكـره الشيـب ومن لي بـه — أن أرد الشرعـة إن عفتهـا
وأنتم النـاس وقـد سِـرْتكـم — وهـذه الأرض ومقـد طفتهـا
لهفـي على عشريـن لا بـل على — غـاليـة كنـت تغلفتهـا

الضيف والصيف (* *) [السريع]

ينتـابني في كـل وقـت صيـف — ضيف على الرجل شـديـد الحيـف
يـركض في بتر ليـالي الصيـف — مقـدار ألفـي فـرسـخ ونيـف
يبهـرج النقـد كثير الزيـف — أبـو المحـال واسمـه طـويـف
لما نـزلنـا بـالمنـى فـالخيـف — وذلـك[1] بـوادي فيـف
هـب إلينـا كهبـوب الهيـف — ولم يسر قـدر غـرار السيـف

يا نائم الفطنة قل لي كيف

(* هذه الأبيات من بحر السريع، قالها الهمذاني من قافية المتدارك.

(* *) هذه الأبيات معمى كتبها إلي الصاحب بن عباد ونلاحظ وجود قافية داخلية ورغم افتعالها إلا أنها تدل على مهارة الهمذاني الشعرية واللغوية.

(١) لا يستقيم وزن المصراع إلا بكلمة مثل كلمة (الضيف).

دارك بعيدة (*) [السريع]

دارك بـــالبعـــد وسيري ضعيـــفْ يـا معجـزي بعـد سقـوط النصيـفْ
إن لم يكـــن لا بـــد مـــن دعـــوتي فـابعـث إلى الضيـفِ بمثـل المضيـف

(*) هذان البيتان ترجمة لمعنى فارسي سمعه الهمذاني فنقله شعراً إلى اللغة العربية، وهما من بحر السريع قافية المترادف.

حرف « القاف »

مداعبة للخوارزمي (*) [السريع]

مهلاً أبا بكْرٍ فـزنـدك اضيـقُ — وأخْـرَسْ فـإن أخـاك حـيٌّ يُـرزقُ
يـا أحمقـاً وكفـاك تِلـك فضيحـة — جـربـت نـارَ معـرتي هـل تحرق؟

فارس كوجه الفيل (* *) [السريع]

يـا شيـخ أي رفـاق السير مسبـوق — أأنـت أم أنـا أم عـزمـي أم النـوق
آثـرتُكـن ولـولا المجـد آثـرني — كـاس وكـن ونـدمـان ومعشـوق
وفـارسي كـوجـه الفيـل مضطـرب — ينحـى عليـه رشيـق القـد ممشـوق

(*) هذه الأبيات مداعبة شعرية، حيث قال الشريف أبو علي للهمذاني وصديقه اللدود الخوارزمي انسجا على منوال المتنبي:

(ارقُ على ارقٍ ومثلي يأرقُ)

فابتدأ أبو بكر ونظم أبياتاً ثم اعتذر، فقال: هذا كما يجيء، لا كما يجب. فقال البديع: قبل الله عذرك، لكن رقفت بين قافات خشنةٍ، كل قاف كجبل قاف، فخذ الآن جزاءً عن قرضك، وأداءً لفرضك ثم أنشد الأبيات السابقة.

(* *) هذه الأبيات من حرف القاف، بحر السريع وكان يمدح بها الشيخ أبا نصر بن أبي زيد. وهو يعني العود في هذه الأبيات ـ فرد أبو نصر: وأي ظلم له منه.

فتية كنجوم الليل (*) [السريع]

وفتيـــة كنجــوم الليـــل مسعـــدة كل إذا لاح سامـي الطـرف مـرمـوق

في فـاغـم النـور مَـوشيّ جـوانبـه كـأنـه مـن خصـال الشيـخ مسروق

واهـاً لشُـوس القـوافي كيـف أبـذلها وكـل واحــدة منهــن عيــوق

لا لا أزفــك إلا كفــؤ مكــرمـــة ولا أبيعـك حتى ينفـق الســوق

شمــي يمين وزيـــر المشرقين غـــدا فـــإنـــه بنسيم النجـــم مخفـــوق

شمـي يـداً للمعـالي فـوق كـل يــد وتحت كــل فـــم أنيـــابـــه روق

قــالـت أمـا دون بلـغ للمنـى غـرض أدنـى ودون وزيـر الشرق مخلـوق

بلى بلاد وأقـــوام وأهـــل غنـــى لي عنهـمُ وبهم عــن همتي ضيـق

كم رائـع الجسم إلا أنـــه طلـــل وهـــائـل الصـوت إلا أنـه بـوق

إني امـرؤ في مقــام الفخـر يحرمني عطـاء غيرك إني منـك مـرزوق

بما جمعـت تفـاريـق الكمال غـــداً بين الملـوك وبيني منـك فـاروق

فإن مددت يـدي يـومـاً فلا رجعـت حتى يعـود على ستســه[1] النــوق

مجد أروض على مكـروهــه خلقــي إن الريـــاضـــة للأخلاق راووق

اقـر السلام وزيـر الشرق في سحـر نسيمـه بـذكـي المسـك مفتـوق

وأنت يـا نـومـة الفجـر ابتغـي نفقـاً إن القـــرار ولما ألقـــه مـــوق

وانعـم صبـاحـاً وزيـر المشرقين ولا يفُتْـك في أمـل عـزم وتـوفيـق

فضـل المزيـة أن المكـرمـات بـه مجموعـة وهــي في الدنيـا تفـاريـق

ومطفـل مـن بنـات الزنـج يخدُمهـا مـن آلـة طبعتهـا الهنـد إبـريـق

تمجّ حيّـاتها ريـق الحيـاة وإن ينشـط فلا قـوت إلا ذلـك الريـق

(*) هذه الأبيات من بحر السريع أيضاً، وقالها الهمذاني تكملة للقصيدة السابقة قالها رداً على كلمة بن أبي زيد بعد أن قال: (يعض حلقه ويعرك أذنه ويضرب بطنه).

(١) هكذا وجدت.

طاعت ليمناك واسطاعت رياضتها ... فشأنها الدهر ترقيع وتمزيق

إذا دجا ليل خطب أطلعت شمعاً ... يجلو الدجى بدمى فيها تزاويق

شمع يداك له شمع حِجاك له ... دمع سجيته جمع وتفريق

كأن يمناك بحر وهي زورقه ... أليس من آلة البحر الزواريق

ووابل صعدته الريح لحت له ... والبحر فرغ له والدلو انبيق

فارتد منك على أعقابه خجلاً ... ولم تفض دمعَه تلك الحاليق

وأينق كقسي النبع ليس لها ... إلا الحقائب حملاً والصناديق

أخذن منك مواثيقاً مغلظة ... إن الكرام سجاياهم مواثيق

وعزمةٍ لا ينال النجم مصعدها ... لا يستقل بها هضب ولا نيق

نامت عيون الورى عنها فطرت لها ... كفِلقة الصخر مجّتها المجانيق

وحاسد كذبته النفس قلت له ... هذي الحقيقة لا تلك المخاريق

عجوز (*) [السريع]

وعجوز كأنها قوس لام ... فلقوها من نبعة شر فلقِ

كاتبتني شوقاً إلي وقالت ... أخذ الله يا بُنيّ بحقي

قلت لا أستطيع ترك بلاد ... قد وفى الله في ثراها برزقي

لك الخير (* *) [الطويل]

لك الخير من طيف على النأي طارقِ ... ثَوَى ريثَما ولّى ولا لمع بارِق

سبى ما جنى من وصله بصدوده ... رجاء ووصلاً من تلافي مفارق

ألمّ بنا والليل في درع ثاكل ... لِواحدِها والنجم في لون عاشق

فثرنا إلى الأكوار والعيس نوّم ... تؤُمّ بنا أقصى بلاد المشارق

(*) هذه الأبيات يرد فيها على رسالة وصلت له من أمه.

(* *) هذه الأبيات قالها الهمذاني في مدح خلف بن أحمد وهي من بحر الطويل ـ قافية المتدارك.

وذكر الثعالبي أبياتاً ستاً فقط من هذه القصيدة الطويلة وهي:

نهاجر دارُ العامرية والحمى ... إلى أرض غزلان الظِّبى والمناطق
أبادية الأعراب أهلَكِ إنني ... ببادية الأتراك نيطت علائقي
وأرضَكِ يا نجل العيون فإنني ... فتنت بذاك الفاتر المتضايق
خليلَي واهاً لليالي وصرفها ... لقد ثقَّفَتْ إلا كعوب خلائقي
ألم ترني بعد النُّهى وبلوغها ... رجعت لأوطار الشباب الغرانق
إذا سجع القُمريّ راسلت لحنه ... بإيقاع دمع للغناء موافق
حياء لأحلامي لِصِيتي همتي ... لعزمي لتحريدي لهدي المفارق
ألم يك في خمس وعشرين حجة ... تسنَّمتها هاد لمُثلى الطرائق
وليل كذكراه كمعناه كاسمه ... كدين آبن عبَّاد كادبار فائق
شققنا[1] بأيدي العيس برد فلاته[2] ... وبتنا على وعد من الصبح[3] صادق
تزجّ بنا الأسفار في كل شاهق ... وترمي بنا الآمال من كل حالق
كأن مقام الذل طَبْطَابُ لاعب[4] ... أنا كُرة في ظهره غير لائق
كأن مطايانا شفار كأنما ... تمد إليهن الفلا كف سارق
كأن الفلا في خندق من ظلامه ... دجى والدجى من أُفقه في سرادق
كأن نجوم الليل نظارة لنا ... تعجب من آمالنا والعوائق

وليلٍ كذكراه كمعناه كاسمه ... كدين ابن عبادٍ كإدبار فائق
شفقنا بأيدي العيس برد ظلامهِ ... وبتنا على وعدٍ من السيرِ صادق
تزجّ بنا الأسفار في كلِ شاهق ... وترمي بنا الآمال من كلِ حالق
كأن مطايانا شفار كأنما ... تمد إليهنَّ الفلا كف سارق
كأن نجومَ الليلِ نظارة لنا ... تعجب من آمالنا والعوائقِ
كأن نسيمَ الصبحِ فرصة آيس ... كأن سرابَ القيظ خجلة واثق

(١) وردت عند الثعالبي (شفقنا).

(٢) عند الثعالبي (برد ظلامهِ).

(٣) عند الثعالبي (على وعدٍ من السير صادق) وفي رواية (على وعدٍ من البشرِ صادق).

(٤) في القاموس المحيط الطبطابة خشبة عريضة يلعب بها الكرة تشبه المضرب في زمننا.

كأن نسيم الصبح فرصة آيس كأن سراب القيظ خجلة وامق
كأن هدير الرعد ضجة ناشز شكت من وميض البرق ضربة فالق
كأن سماء الدّجن لولا انقشاعها يَدًا خلَفٍ عند الندا والصواعق
لعمري لئن منّ الوزير فإنما يمن على عبد بنعماه ناطق
إذا اقتضت منه خراسان لفظة أماطت نساء العرب در المخانق
يلح على شوس القوافي وصيدها فيلبسها ماء المعاني الدقائق
أبعد وزير المشرقين أزفها على ملِك رُدّت إذنْ في حمالقي

صوت الرعد (*)

[المتقارب]

لئن صوَّت الرعد في أفْقه وأبدَى السحاب سنا بَرْقِهِ
تطاير لُبُّك فاستقْرِه وأفنيتَ دمعك فاَستَبْقِه
وخِشف تحير فيه الجما ل من قدميه إلى فَرقه
إذا ما التوى الصدغ في خدّه تلوّى المحب على شِقه
ولما شكوت الهوى قال لي سحبتَ الرّداءَ ولم تلقه
تعرَّض والعود في حجره يريني المهارة في حذقه
فطوراً يميل على بطنه وطوراً يشد على حلقه
ولما استقر على نقره وأجرى الغناء على وفقه
شققت الصّدار ولو كان لي فؤاد لملت إلى شقه
أتاني البشير برأي الأمير وبَذْل الإجابة من حقه
وقلَّ لحضرته أن أجو ب غرب الطلاع إلى شرقه
حنانيك لَبَّيْك حَبْواً إليك لك الأمر جيديَ في ربقه
أنا العبد قرطك في أُذنه مطيعاً وطَوْقك في عنقه
لنعم المعالي لقد حازها أبو قاسم فهي في رقه
كذا المجد طال ذرى فرعه علينا وطاب ثرى عرقه

(*) هذه الأبيات من بحر المتقارب، قافية المتدارك.

فـأجـرى الملـوك لغـايـاتهم فكـــان المبـرز في سبقـــه
جُعلـــــت فُـــداءك بشرتني ولكـــن غسلـــت ولم تنقـــه
فهــلا مـــع الإذن لي في الرحيــــل أعنـت ركـابي على طـرقـه
ليبتسم الركـب عـــن مقــدمــي كما آنفجـر البحــر عـــن فلقـه
عقــدت بهامتـــه فـــارعَهـا[1] وأنبتهــا شجـراً فــاسقـــه

عندما يجيء الشباب بليلاً ![*]

[البسيط]

حــديقــة الجو غضي هـــذه الحدقــا يا ويح طرفك مـا أغـرى بـه الأرقـا
غـــوري لطيبــــة الأردان تمطلني مطـل الغني حيـاء منــك أو فــرقـا
يـا قـرة العين مـا هـذا الشماس فقـد حسنـت خلقــاً فهــلا مثلـه خلقـا
تصرّم الليــــل إلا معتلــى نفــس هــلا قضينـــاه تقبيــلاً ومعتنقــا
والليـل منسـدل الأعـراف منتظـم الأطــراف محتمل الأعطاف مـا وسقـا
بحر ولكنــه طــاف جـــواهـــره طـام علينـا ولكـن نـأمـن الغـرقـا
كـأنما البــدر معشـــوق وقــد نثرت يـــد الثريـا عليـــه العين والورقـــا
نفسي فـداؤك مـن ليــل على قمــر على قضيـب على مُنثـال حقـف نقـا
فـرب آهـة وجــد لــو لفحــت بها إلى الحديــد غـــداة البين لآنفلقـــا
وزفـرة يـوم سـاروا لـــو دلفــت بها إلى المودّع قيــد الرمـــح لآحترقـــا
أتبعتهـا زفـرات بعـــد مــا ظعنــوا فهـن يغمـرن في أجفــاني الطــرقــا
أللحبيبـــة أمشي وهـــي ظـــاعنـــة أم للشبيبـة أنْضـو بُـــردهــا خلَقـا
جــاء الشبــاب بليــل لم يكــن ظلماً وأطلـع الشيـب صبحـاً لم يكـن فلقا
هـــو الزمــان أتـــى إلا على رمقــي وقــد تطـاول يبغـــي ذلـــك الرمقـــا

(١) في نسخة (فرعها) وليس (فارعها).

(★) هذه الأبيات من بحر البسيط، قافية المتراكب، وقالها الهمذاني يمدح فيها الأمير شمس المعالي قابوس.

وهمـــة في المعـــالي قـــد سحبـــت لها على المكـــاره مـــن أذيـــالها سرقـــا
أمطـت عنهـا لثـام الشـك معترفـاً ونطتهـا بســواد الليـــل منفلقـــا
فمل أقل لهموم النفس قـد كـذبـت ولم أقـل للسـان الفجـر قـد صـدقـا
ولم يـرُعني طـرف البيـد مطّـرفـاً ولا ثنـاني طـرف الليـل منطبقـا
ومـا شربـت بكـاس العـز مصطبحـاً حتى تجشمـت ورد الليـل مغتبقـا
ولم أبـت بيـد الحسنـاء معتصما حتى ظللـت بعـرف الليـل معتنقـا[1]
ولا أبيـت الحشـايـا مـا حييـت فقـد هجعـت في صهـوات الخيـل مـرتفقـا
فليهنني المجـد مـرفـوعـاً دعـائمـه فقـد تصبـب فيـه سـالفـي عـرقـا
ولتهنني الحضرة الشماء أخـدُمهـا فقـد سريـت إليهـا الوخـد والعنقـا
ولتهـن شمس المعـالي أنـك آبـنُ أب ورثتـه خَـرَزاتِ الملـك والخِرقـا
يا ملء عِطف الليـالي أنـت مـن مِلِـك ومـلء عين المعـالي منظـراً أنقـا
صـغ المجـرة طـوقـاً والسهـا شنفـاً لمـا ركضت فقـد أعيـا وقـد سبقـا
واجعـل لـه فلـك الجوزاء مـرتبَطـاً وأجـره فـوق قـرن المشتري طلقـا
وآحلل عن الملـك شداً أنـت عـاقـده على مطـامـح نفـس تمـلأ الأفقـا
بهمـة تطـأ الجـوزاء مفتـرَعـا وعـزمـة تسَـعَ الدَّهْنـاء مخترقـا
ثم آبنِ فوق الطباق الخضر مـن شرف يفـرخ الدهـر في أظـلالها طبقـا
يا مـن روى لِـيَ مـن أخبـاره سِيَـراً ونـاط بـالشمس مـن آثـاره أفقـا
لـو أنها شجـر لأدّاركـت زهـراً وأسّاقطـت ثمـراً واثّـاقلـت ورقـا
فـانهض إلى الملـك طلاّبـاً إليـه يـداً واتلـع إلى المجـد طلاعـاً لـه عنقـا
يـا عـائـف الورد لم تعـذب مـوارده فـإن وردت فلا طـرقـاً ولا رنقـا
وتـارك الأمـر غير الحلم رائـده فـإن تـرده فلا طَيْشـاً ولا نَـزَقـا
لله أنـت وأمـر أنـت بـالغـه وبـالْحَرَى في المنـى بـالله أن تثقـا

(١) في نسخة: (حتى ظللت بعرف الليل معتلقاً) ـ وهذه الأبيات تكملة لمدح قابوس كما سبق وأشرنا.

لله مكنــون سر أنـــت بــالغـــه يـومـاً أغـر يناجي صبحــه فلقــا

ليــدنِــيَ الله أمــراً ظــل مبتعــداً ويفتــح الله بــابــاً بــات منغلقــا

كــأنني بين أيــام وقــد كشفـــت غطــاءه ولسـان الدهــر قــد نطقــا

حرف «الكاف»

في اعتقادي (*)

[مجزوء الكامل]

أنــا في اعتقـــادي للتسنـ ـن رافضيّ في ولائـــك
وإن اشتغلــت بهـــؤلا ء فلسـت أغفـل عـن أولئـك
يـا دار منتجـع الرسـا لـة بيـت مختلـف الملائـك
يـا ابـن الفـواطـم والعـوا تـك والترائـك والأرائـك
أنـا حـائـك إن لم أكـن عبداً لعبدك وابن حـائـك[1]

يا قلب (* *)

[مجزوء الرجز]

يـا قلـب مـا أغفلـك عـن حـركـات الفلـك
ويحـك هـذا الـردى إليـك يسعـى ولـك
أنـت على سفـرة يشيـب منهـا الحلـك
مـن انتحـى نهجـه بغير واد هلـك

(*) هذه الأبيات من حرف الكاف، قالها من مجزوء الكامل، قافية المتواتر.

(١) في رواية (أنا حائك إن لم أكن مولى ولائك وابن حائك).

(* *) أرى أن هذه الأبيات من مجزوء الرجز، وهي أبيات رقيقة في الزهد ولعلها تذكرنا بزهديـات أبي نواس.

ويك يا غافل (*)

[مجزوء الرمل]

أنــت في دنيــاك هــذي بين أمــواج المهــالــك
ويــك يــا غــافــل لم لا يخطــر المــوت ببــالــك

ويضحك القضاء (* *)

[المتقارب]

تلبــس لبــاس[1] الرضــا وخـل الأمــور لمــن يملــكُ
تقــدّرُ[2] وجــاري القضــا ء مما تقــدر يضحــك

يا مَن إليه المشتكي (* * *)

[المتقارب]

قــرة عينــي بــذكــا محبتــي أي فلكــا
تــريــد أن تقتلني نــه درست كــردي درلكــا
وأنــه حــى ليلــك أن ينصــب دوني شركــا
أمــا كفــى صــدغــك لي إلى الــردى معتركــا
وأنني لا أرقــد الـ ـليــل وأرعــى الفلكــا
كــأنمــا ألتحــف الـ ـجمــر وأعلــو الحسكــا
أذابنــي فــرط الضنــا وهــدّني طــول البكــا
أبجــت روحــي ودمــي بنى هــداد روحكــا
ورنــه دهــى بــوســه زلــب بهــل بَبُــوسَــمْ لَبَكــا
فغــاظــه قــولي لــه فقــال بــس وي نــه وكــا

(*) هذه الأبيات من الزهد الصادق، وهي من مجزوء الرمل، قافية المتواتر.

(* *) البيتان من بحر المتقارب وهما من زهديات الهمذاني.

(1) استقامة وزن المصراع متوقفة على زيادة نحو (التقى والرضا).

(2) يتوقف وزن المصراع على زيادة كلمة نحو (أنت).

(* * *) هذه القصيدة من بحر المتقارب ونرى فيها الكثير من العلات والهنات ولعل الناقد الحصيف لا تخفى عليه هذه الهنات.

تــــريـــــد تقبيـــــل فمــــي ‌ ‌ ‌ ‌ إليــــــك لا أم لكـــــــا
لـــــــو لم ينـــم لم يحتلـــم ‌ ‌ ‌ ‌ أحلســـت كلي فـــاركـــا
يــا طـــرة قـــد سلبــت ‌ ‌ ‌ ‌ مـــن الغــــراب الحلكـــا
ومقلـــــة مـــن نفشــت ‌ ‌ ‌ ‌ فيـــه بسحـــــر هلكـــا
هــــواك إذ أجحـــــف بي ‌ ‌ ‌ ‌ بـــأي علــــق فتكـــا
تفعـــــــل ألحاظـــــك بي ‌ ‌ ‌ ‌ مـــا تفعـل الخمـــر بكـــا
وكـرتـــو دا دم نـــه دِهـــي ‌ ‌ ‌ ‌ يــا مـــن إليـــه المشتكـــى
يَكَـــرْزم جـــامَـــه دَرَمْ ‌ ‌ ‌ ‌ سسي قـــاضي وحكـــا
وقـــال إذ هـــدّدتـــه ‌ ‌ ‌ ‌ سبحـــان مـــن ارفعكـــا
قـــاض إذا مـــا جنّـــهُ الليـ ‌ ‌ ‌ ‌ ـل يصيـــــد السمكـــــا
ينصِـــــب في أسفلـــــه ‌ ‌ ‌ ‌ لكـــل حـــوت شبكـــا
أفٌّ لقـــــاض يبتغـــــي ‌ ‌ ‌ ‌ مـــن المعـــاصي دركـــا

لو كانت النيرات (*) ‌ ‌ ‌ ‌ [المنسرح]

لــو كـــانــت النيرات أخمصكـــا ‌ ‌ ‌ ‌ وكنـــت ممن يســـامـــر الفلكـــا
مـــا كنـــت إلا مـــؤاجَـــراً حلقـــاً ‌ ‌ ‌ ‌ إذا رأى وجـــه دانـــق بـــركـــا

(*) البيتان من بحر المنسرح، والقافية قافية المتراكب.

الشعر ما أصعبه!! (*)

[الرجز]

الشعر أَصْعَبُ مذهباً (١) ومصاعِداً (٢) ... من أن يكون مطيعُهُ في فكِّه

والنظمُ بحرٌ والخواطرُ معبرٌ (٣) ... فانظر إلى بحرِ القريضِ وفلكِهِ

فمتى تَراني في القريضِ مقصراً ... عرضت أذن الامتحان لِعَرْكه (**)

(*) هذه الأبيات انفرد ياقوت الحموي بذكرها ص ١٧٥.

(١) المذهب: الطريق.

(٢) المصعد: هو مكان الصعود: والمراد أن ارتجال الشعر من الصعوبة بمكان.

(٣) معبرٌ: جسر شبه الشعر بالبحر، والفكر بالجسر ثم قال انظر إلى بحر القريض. والفلك: السفينة - فالكلام على المجاز كما لا يخفى على القارىء.

(**) ولعل هذه الأبيات تذكرنا بقول شاعر إسلامي آخر عن الشعر:

الشعر صعب وطويلٌ سلمه ... إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه ... يريدُ أن يعربه فيعجمه

وهي من الرجز.

حرف «اللام»

سماء الدجى ما هذه الحدق؟

[الطويل]

سماء الدجى ما هذه الحدق النجل ... أصدر الدجى حالٍ وجيد الضحى عُطل
لك الله من عزم أجوب جيوبه ... كأني في أجفان عين الردى[1] كحل
كأن الدجى نقع وفي الجو حومة ... كواكبها جند طوائرها رسل
كأن مطايانا سماء كأننا ... نجوم على أقتابها برجها[2] الرحل
كأن القُرى سكْرى ولا سكر بالقرى ... كأن الربا ثكلى وما بالربا ثكل[3]
كأن السرى ساقٍ كأن الكرى طلا ... كأنا لها شرب كان المنى نقل
كأن الفلا نادٍ به الجن فتية[4] ... عليه الثرى فرش حشيته الرمل

---

(١) عند الثعالبي (الدجى) بدلاً من (الردى).

(٢) عند الثعالبي (برجنا) بدلاً من (بُرجها).

(٣) لم يذكر الثعالبي هذا البيت.

(٤) عند الثعالبي (قينة) بدلاً من (فتية). وذكر الثعالبي هذه القصيدة على النحو التالي:

سماء الدجى ما هذه الحدق النجل ... أصدر الدجى حالٍ وجيد الضحى عُطل
لكَ الله من عزم أجوب جيوبه ... كأني في أجفان عين الدجى كحل
كأن الدجى نقع وفي الجوّ حومة ... كواكبها جند طوائرها رسل
كأن مطايانا سماء كأننا ... نجوم على أقتابها برجنا الزجل
كأن السرى ساق كأن القرى طلاً ... كأنا لها شرب كأن المنى نقل
كأن الفلا ناد بهِ الجن قينة ... عليه الثرى فرش حشيته الرمل
كأن أبانا أودع الملك الذي ... قصدناه كنزاً لم يسع رده مطل

كـأن الربـا كُـوم كـأن هـزالها لكثرة مـا يغتـالها الخـف والنعـل
كـأن الذي تنفـى الحوافـر في الثرى خطـوطٌ مسـاميرُ النعـال لها شكـل
كـأنـا جيـاع والمطـيّ لنـا فـم كـأن الفلا زاد كـأن السرى أكـل
كأن بصدر العيس حقـداً على الثـرى فمن يدهـا خبـط ومـن رجلهـا نكـل
كـأن ينـابيـع الثرى ثـدي مـرضـع وفي حجـرهـا مني ومـن نـاقتي طفـل
كـأنـا على أرجـوحـة مـن مسيرنـا لغـورٍ بها نهوي ونجدٍ بها نعلـو
كـأنـا على سير السـواني مسـافـة لمجهلـة تمضي ومجهلـة تتلـو
كـأن الدجـى جفـن كـأن نجومـه على ظهـره حليّ كـأنـا لـه نصـل
كـأن بني غبراء حين لقيتهـم ذئـاب كـأني بين أنيـابهم سخـل
كـأن أبـانـا أودع الملـك الذي قصـدنـاه كنـزاً لم يسَـع ردَّه مطـل
كـأن يـدي في الطـرس غـواص لجة بها كلمـي درّ بها قيمتي تغلـو
كـأن فمـي قـوس لسـاني لـه يـد مـديحي لـه نـزع بـه أملي نبـل
كـأن دواتي مطفِـل حبشيـة بنـاني لها بعـل ونفسي لها نسـل
كـأن بنيهـا عكس أبنـاء عصرنـا فإن يُرضَعوا يبكوا وإن يفْطموا يسلـوا
وإن ضربـت أعنـاقهـم عـاش ميتهـم فقتلهـم أن لا يعمهـم القتـل
كأن ألهمت فضل الذي باسمـه جـرت فسـارت ومـا غير الرؤوس لها رجـل
كـأن الأمير اختصهـا فـاعتلـت بـه معـارجُ أسبـابُ السماء لهـا سفـل

= ولما بلـونـاكم تلـونـا مـديحكـم فيا طيـب مـا نبلـو ويا حسـن مـا نتلـو
ويـا ملكـاً أدنـى منـاقبـهِ العلى وأيسرهـا مـا فيـهِ السماحـة والبـذل
هـو البـدر إلاّ أنـهُ البحـر زاخـراً سـوى أنـهُ الضرغـام لكنـه الوبـل
محاسـن يبـديها العيـان كما تـرى وإن نحن حـدثنـا بها دفـع العقـل

ولعلنا لاحظنا الفرق بين قصيدة النسخة المطبوعة وما أورده الثعالبي في عدد الأبيات وفي بعض الكلمات.

ويجدر بالذكر هنا أن الهمذاني كتب هذه القصيدة في مدح الأمير خلف بن أحمد وهي من بحر الطويل، قافية المتواتر.

وإلا فما بـالُ الملـوك نـراهـمُ ... عبيـد قنـاة لا تمـر ولا تحلـو

ألا عَتَبَتْ جُمْل وبيني وبينها ... من البيد عذرٌ لو به علمت جمل

تعجب من شكواي دهري كأنني ... شَكوت لما لم يشكه الناس من قبل

يذكرني قرب العراق وديعة ... لدى الله لا يسليه مال ولا أهل

حنته النوى عني وأضنته غَيبتي ... وعهدي به كالليث جؤجؤه عبل

إذا ورد الحجاج لاقى رفاقَهم ... بفوّارتي دمع هما السجل والنجل

يسائلهم أين ابنه كيف حاله [1] ... إلامَ انتهى لِمْ لَمْ يَعُد هل له شغل

أضاقت به حال أطالت له يد ... أأخّره نقص أقَدَّمه فضل

أفيصوا عن الفرع الذي أنا أصله ... وما بال فرع ليس يحضره الأصل

يقولون وافى حضرة الملك الذي ... له الكنف المأمول والنائل الجزل

فَقِيدَ له طِرف وحُلّت له حبى ... وخِير له قصر ودرَّ له نُزْل

وفاضت عليه مطرة خلفية ... بها للغوادي عن ولايتها عزل

يذكرهم بالله ألاّ صدقتم ... لديّ أجدٌّ ما تقولون أم هزل

فدى لك ما أبناء دهرك من غدا ... ولا قوله علم ولا فعله عدل

طوينا للقياك الملوك وإنما ... بمثلك عن أمثالهم مثلنا يسلو

ولما بلوناكم تلونا مديحكم ... فيا طيب ما نبلو ويا صدق ما نتلو

ويا ملكاً أدنى مناقبه العلى ... وأيسر ما فيه السماحة والبذل

هو البدر إلا أنه البحر زاخراً ... سوى أنه الضرغام لكنه وبل

محاسن يبديها العيان كما ترى ... وإن نحن حدثنا بها دفع العقل

فقولا لِوَسّام المكارم باسمه ... ليهنك إذ لم تبقِ مكرمة غفل

وجاراكَ أفراد الملوك إلى العلى ... فحقاً لقد أعجزتهم ولك الخصل

سما بك من عمرو بن يعقوب محتد ... كذا الأصل مفخوراً به وكذا النسل

---

(١) قرأت هذا البيت في رواية: (يسائلهم كيف ابنه أين داره).

لك يا عماد المشرقين (*) [الكامل]

إن لم يكن هذا الصدود فصالا ... فانهيْ خيالكِ أن يزور خيالا
إني وإن حلت عقودي لوعة ... لأعز نفساً لم تكن لتذالا
أقلي وريعان الشباب ذريعة ... فلو اكتحلت قذى وشبت قذالا
أمطيعة العذال لست بحرة ... إن لم أطع في حبك العذالا
إن تصرمي صباً فقد شجيت به ... لعساء يشجي ساقها الخلخالا
أو تسهريه فربما سهرت له ... هيفاء لا تسع العيون جمالا
ومريضة الألحاظ وادعة الْخُطى ... تطأ الجفون ولا تكاد دلالا
ترنو إليّ بمقلة ترنو بها ... نحو الجبال فتحدر الأوعالا
باتت ترخص لي وباتت عفتي ... عذراء تجتال اللمى والخالا
إني ليقعدني الهوى ويحلني ... لكن خلقنا يا خلوب رجالا
من قاطع رحم الكرى ومهجهج ... إثر القوافي يمنة وشمالا
يزع اللفوف فلن يفوت نداءه ... ويلي العطوف فلن يطوف ضلالا
إن أرتع الألفاظ أشبع أو سقى ... أروى وإن منع الورود أحالا
حتى إذا أعييتني أرسلتها ... طرداً كأسراب القطا أرسالا
لك يا عماد المشرقين وإنها ... كالنجم دونك أو أعز منالا
فلئن سلبنك خاتميك لقد غدت ... تاجاً عليك فهل نقصنك حالا
فليبلغ العيوق فصك وليكن ... مثل الشقائق وليزن مثقالا
أيٌّ الفصوص وإن علت أضعافه ... ليست على هذي الفصوص عيالا
هذا ابن مامة والحديث يطوله ... ذو خصلة وقد افترعت خصالا
ويح الزمان[1] من اللذين[2] أراهما ... نعيا إليّ المجد والأفضالا

(*) هذه القصيدة يمدح فيها الهمذاني أبا الطيب سهل بن محمد. وهي من بحر الكامل بقافية المتواتر.
(١) ويح الزمان - في نسخة وي الزمان.
(٢) من اللذين - في نسخة مَن اللذان.

هـذا يقـول سـل الإمـام سـواهما
إني أراك قـد التمسـت محـالا

ويقـول خيرهما مقـالاً لا تطـل
في الخاتمين ولا تكـن هيـالا

قسماً لأنتـزعنـه بعـروقـه
ثقـة بفضلـك يـا إمـام وقـالا

ومهـوسين مهـوشين تجمعـوا
نسـل الفـداء وتبـذل الأمـوالا

يـا قـوم أنتجعُ السحـاب واسـألُ الـ
ـبحـر المحيـط وأجتـدي ميكـالا

الذنـب للشيـخ الإمـام لأنـه[1]
سـاد الورى فليحمـل الأثقـالا

كـرم هنـالـك لم تـرثـه كلالـة
كـلا وفـص لم تـرثـه كـلالا

هـا إنـه أصـل لمجـدك تـابـع
فـإذا أقلـت المكـرمـات أقـالا

يـا ذا الذي أنـا مشرفيُّـك في العـدى
أفلا تـزيـد المشرفيَّ صقـالا

ألا يهنيء الشيخ (*)

[الطويل]

لَعَمـر المعـالي إن مطلبهـا سهـلُ
سـوى أنها دار وليس لها أهـل

حنـانيـك مـن حـر ألـمَّ بمعشر
هم الشاء رِسل مـا أدرّت ولا رسل

فحـاول أن يستـل بـالشعـر مـا هم
وذلـك مـا لم يفعـل اليـد والفعـل

شكـا الْجَـدَّ والأيـام إذ لم تُـواتـه
فلم يشك إلا ما شكا النـاس مـن قبـل

عـزاء ففـي هـذي الخطـوب لنـا يـد
وصبراً ففـي هـذا القطيـع لنـا سخـل

ألم تـدر أن الجود والمجـد والنهـى
أمـان متى تحلم بها وجـب الغسـل

ألا لا يغـرنـك الحسين وَجـودُه
فترجوَ قومـاً ليس في كـأسهـم فضـل

فما كـل وقـت مثلـه أنـت واجـد
ولا كـل أرض للحسين بها مثـل

---

(١) الذنب للشيخ الإمام لأنه ـ في نسخة فإنه.

(*) في النسخة المطبوعة أن هذه القصيدة قالها الهمذاني في مدح رجلين هما: أبو علي الحسين، وأبو الطيب سهل وهي كما نقرأها من بحر الطويل بقافية المتواتر. ولكن عند الثعالبي في (يتيمة الدهر) [ص ٣٠٠] يقول: إنها رد على قصيدة وردت عليه فعارضها ونحن نرى أن النسخة المطبوعة أصح لأن ذلك يتفق مع مضمون القصيدة.

أعيذك أن تلقى الورى في لباسه — وفي شكله يا بعد ما يقع الشكل
فما كل جنس تحته النوع داخل — ولا كل ما أبصرت من شجر نخل
ولن تفعل الأقوام مثل فَعاله — ولا سائر الذبان ما تفعل النحل
وما جلّ هذا الناس إن تبلهم أبو — عليّ حسين أو أبو طيب سهل
أيا ناقةً بلّغتِنيه محرّم — عليك السرى لا بل على ظهركِ الرحل
ألا يهنيء الشيخ الموفق إنه — فتاه ولولا الفرع ما شرف الأصل
تشابهتا فضلاً ومجداً فلم يبن — ألأصل أزكى في القياس أم النسل
كذا الدهر يقضي في عداهم وفيهم — بنجم لهم يهوي ونجم لهم يعلو

الندى والغيم والبحر (*)

[المنسرح]

يا ملك الشرق عمدة الدولِ — ويا علا المكرمات لا الحيل
يا أسد الملك لا الغياض ويا — سيف السنا والسناء لا الخِلل
ويا سحاب العقيان لا بلل الـ — ـقطر عُقاب الملوك لا الحجل
أصبح منك الزمان في رجل — ومن نداك الغمام في خجل
طلعت للناس مبتدا أمل — وللمعادين منتهى أجل
بنت لك المكرمات منزلة — أسس أركانها على زحل
فامدد إلى الشّعريينِ منك يداً — مخلوقة للعطاء والقبل
إذا هَمَت راحتاك يوم ندى — فالغيم والبحر نطفتا وشل
وإن طمَى عسكراك يوم ردى — فالسيل والليل واردا فشل
يا من يرى الحرب منتحى قنص — والضرب والطعن مجتنى عسل
رسمت لي أن أجرّ في صفة الـ — ـسيف وأسمائه مدى الطول
فانكدر النجم دون ظنك بي — وانتقل الفرض دون أمرك لي

(*) هذه القصيدة قالها الحمداني في اسماء السيف ارتجالاً، وهي من بحر المنسرح، قافية المتراكب.

ومـن سمـت في العلاء همتـه يخطـب مـا خطبـت مـن قبلي[1]

لا جـرم اجتبـت كـل مخترق فيـه وادّخلـت كـل منـدّخَـل

وشِمـتَ دون السيـوف سيـف فمـي وقـلت لا ذا عمـى ولا شلـل

فسفـت بـالقلـب أيـن أنـت وبـالـ ـصـدر تشمّـر وبـالطبـع حَيَّهَـلِ

لـه أسـامٍ شتى فـأشهـرَهـا الـ ـسيـف فقـد سـار سـائـر المثـل

والسيف مـن لفظـه السُّـواف قـدِ آشـ ـتـق ففيـه الرداء للـرجـل

والصارم[2] النـافـذ الشبـا الْجُـرا ز المقـاطـع الحـد غير منتصـل

والمنصـل السيـف واستفيـد لـه الـ ـنعـت مـن النصـل أو مـن النصـل

والمِقضـب الكـاسر الشَّبـا وكـذا آلـ ـمِفصـل معنـاه هـاشم البطـل[3]

والمفصـل السيـف وهـو مـن فَـ ـصَل العظـم إذا قـده على عجـل

والمقضـب الفـاصـل العظـام كما الـ ـقَضّـاب يفـري مفـاصـل الجمـل

والمقصل[4] السيـف لا يصـان عـن الـ ـأشجـار فهـو البطـيء في العمـل

وفي السيـوف الكهـام هـو الذي يفتـك لكـن بـالقـرع والبصـل

وفي السيـوف المِجـذ والجـد معنـ ـنـىً سـواء في الرعـب والوجـل

وقـد يقـال المهـز وهـو الـذي يهتـز كـالغصـن سـاعـة العمـل

وهـو مِقَـدّ إنِ خـاض في مفـرق الـ ـرأس مِقـطّ لهـا مـن الكفـل

ثم القَسـاسي وهـو منتسـب إلى قسـاسٍ مـدينـة العمـل

والمشرفيّ آنتَمـى إلى حِلـل قـالـوا مـن الريـف عـذبـة الحلـل

والأبـرص السيـف لا سـواد بـه كـأنـه شعلـة مـن الشعـل

---

(١) الصحيح: (يخطب بها ما خطبت من قبلي).

(٢) الأصح: (القاطع).

(٣) في رواية: (والمقصل الكاسر...).

(٤) في نسخة (والمعضد).

والأبيـض السيـف راع منظـره[1] كـأنـه مـن سنـاك في حلـل
والْمُـرهَـفُ السيـف رق جـانبـه حتى كـأني أعـرتـه غَـزَلي
والمِبعـج السيـف واللسـان لـه رأس طـويـل كهـامـة الأسـل
والباضع السيف من بَضَعْت يدَ الـ ـخصم بضعـت غـارب الجمـل
وبعـض أسمائـه الْمُبَضِّـعُ وهـ ـو القـاطـع العظـمَ عنـد مقتتـل
وقـد يسمـونـه المطبّـق وهـ ـو الضـارب العظـم سـاعـةَ الوَهَـل
والبـاتـر السيـف وهـو مـن بتر الـ ـعمـر إذا نـادت الكماة هـل
والمهـر سيـف بمتنـه ربـد والقضـب مـا لم يقـف على فلـل
وبعـض أسمائـه المذكـر وهـ ـو إن رمـتَ علمَـه فسـل
تلـك سيـوف شفـارهـا ذكـر مـن عمـل الجزيـرة النمـل
والبـاهـر السيـف نـور منظـره يبهـر نـور العيـون والمقـل
والمخذَم السيف إن خذمت مدى الـ ـعمـر وأفنيـت مـدة الْمَهـل

دنا فسألناه (*)

[الطويل]

وأحور ساجي الطرف أغرى بي الضنى وقصر نـومـي في ليـال أطـالها
دنـا فسـألنـاه أمـا لـك مـن فـم فقـالنعمْ، قلنـا فـأينَ. فقـال هـا

يا شادناً (* *)

[مجزوء الكامل]

يـا شـادنـاً لـو لم تكـن شفتـاه للأسنـان ذيـلاً
مـا إن رأيـت ولا رأى أحـد مـن العشـاق ليـلا

(١) في نسخة: (منزله).

(*) هذه الأبيات قالها في ترجمة من بحر الطويل، من قافية المتدارك.

(* *) هذان البيتان في ترجمة. وهي من مجزوء الكامل. والقافية، قافية المتواتر.

مرت بنا (*) [الرجز]

مـــرت بنـــا وعينهـــا — مـــن سكـــرهـــا منخـــزلـــةْ
ذات جفـــون ضعفـــت — كمـــذهـــب المعتـــزلـــةْ
وظـــاهـــر يـــروعـــه — وبـــاطـــن لا أصـــل لـــةْ

مأوى الطيور (* *) [الكامل]

هنـــة كـــدور عمامتي شكلا — وتـــرى الضريـــر لشكلهـــا مثلا
والمنحنـــى ظهـــراً يماثلهـــا — ومـــع الزيـــارة ينثني أصـــلا
وتـــرى البـــلاد لهـــا مقـــاربـــة — والقين يفعـــل تحتهـــا فعـــلا
هـــذا إذا مـــا نـــونها انقلبـــت — مـــأوى الطيـــور وبيتهـــا الأعلى

أحاجيكم وليس لكم (* * *) [مجزوء الوافر]

أحـــاجيكـــم وليس لكـــم — بما حـــاجيت مـــن قِبَـــلِ
بـــدرّ صين في صـــدف — وفي خلـــل وفي كلـــل
وإن عطلـــت أولـــه — فمـــوردة مـــن الحيـــل
وإن حليـــت آخـــره — فهيـــج البحـــر كـــالقلـــل
وإن قـــوســـت قـــامتـــه — رأيـــت حليلـــة الرجـــل
وإن تضمـــم لـــه شفـــة — تعطلهـــا مـــن الحلـــل
فعنـــد الله ليس لـــه — مبـــادي الشكـــل والمثـــل
وإن شئنـــا لطـــولنـــا — وأرخينـــا مـــدى الطّـــوَل

(*) هذه الأبيات قالها الهمذاني وهي من بحر الرجز ، مجزوء الرجز ، قافية المتراكب .

(* *) هذه الأبيات قالها في معمّى اقترح عليه من بحر الكامل قافية المتواتر .

(* * *) هذه الأبيات قالها معمى من مجزوء الوافر بقافية المتراكب

يا جامعَ المال(*)

[المتقارب]

ايـا جـامـع المال مــن حلـــه ... يبيـــت ويصبـــح في ظلـــه
سيـؤخـذ منـك غـــدأً كلـــه ... وتسأل مــن بعـد عــن كلـــه

يا معجباً(* *)

[مجزوء الكامل]

يـــا معجبـــاً مـــرح العنـــا ... ن يجـــر في الْخيـــلاء ذيلـــه
أقصر فـــإنـــك ميـــت ... يُهـدي الفنـاء إليـــك سيلـه

رسول فارس(* * *)

[الوافر]

دخلـت على الرســول وكـان غشا ... ثقيـــل الروح ذا حمق وجهـــل
وأقسم أنــه لـــو كـــان أيـــراً ... لكـان على أبي نصر بــن سهـل

(*) هذان البيتان من بحر المتقارب، بقافية المتدارك.

(* *) هذان البيتان من مجزوء بحر الكامل، بقافية المتواتر.

(* * *) هذان البيتان من بحر الوافر بقافية المتواتر ـ قالها في رسول من فراس دخل عليه فلم يقم له.

حرف « الميم »

رثاء (★)

[الطويل]

أقول لإحدى المعضلات العظائم ... وبالود أني قاعد غير قائمِ
أُعزيك لا فعل اختيار ولا رضى ... ولكن على رغمي ورغم المكارم
ألا بَكَّر الناعي بأن أجحف الردى ... بأخضر مما أنبت المجدُ ناعم
ووافق يوم المهرجان نَعيُّه ... لنا فزجرنا فيه طير الأشائم
فلا جَرَم اعتضنا من الخز حزنه ... وسرنا حفاة حُسَّراً في المآتم
على هيّن من نفس من سار صاغرٍ ... ومجتدع من أنف من ساد راغم
فإن ترعني سمع القبول فإنني ... أُعزى فلا أهدا لصيحة خادم
وإن كنت فيما ناب من حادث الردى ... أقلَّ مصاباً منك يا نقص ماتم
تأمل من الدنيا القليل متاعها ... وما نحن فيه غير أحلام حالم
وفكِّر رويداً هل يعدون سالماً ... إلى آدم أم هل يرون ابن سالم
فإن كنت مخصوصاً فحق لك الأسى ... وإلا فلا ترفض جميل العزائم
فنحن لما أفضى إليه بموعد ... وريش الذُّنابى تابع للقوادم

(★) هذه الأبيات قالها الهمذاني يرثي بها شقيق أبي علي الوزير، وهي من بحر الطويل، بقافية المتدارك.

كرم وخمر (*)

[الوافر]

ومضطغن على الألبـاب قـاس ... يـرى ويقـول بـالـرأي القـديم
يحدّث عـن أب فـأب مجوس ... إلى هـابيـل كـالليـل البهيم
أبـوه أخـوه وهـو أخـو بنيـه ... ولا السّيْـرانِ قـدّاً مـن أديم
لـه في النـور والظلمات عقـد ... بطـيء الحـل ممنـوع الأديم
تخير مـن أديم الحزن أرضـاً ... عـذاة الترب طيبـة الأروم
وعَـرَّش فـوقنـا فـالطـرف فيهـا ... يسيـر على صـراط مستقيـم
وحصّنهـا بعيـدان طـوال ... وزينهـا بقضبـان الكـروم
وحـاز لها مـن الأنهار فحلاً ... فـاهـداهـا إلى كفـؤ كـريم
فـأولـدهـا بنين ولم تخنـه ... وَرُبَّـتَ لائم فيهـا مليم
وأقبـل ربها يسعـى إليهـا ... ضحـى في سمـت لقمان الحكيم
فـأبصر غِلمـة كـالصبـح بيضـاً ... لهن وغلمـة مثـل الصريم
فصعـر خـده غضبـاً عليهـا ... وزنـاهـا ببهتـان عظيم
وقـال أغلمـة سـود وبيـض ... لفحـل واحـد يـا للـزنيم
أجـابتـه الكـروم وقلـن كلا ... ولكـن صنـع ذي العـرش العظيم
قضى بسـواد ذا وبيـاض هـذا ... كما ولـد الصبيـح مـن الدميم
فقال جزى العواهـر مـا جـزاهـا ... وسمـن كـل جـانيـة ظلـوم
ألم تـرضين أن تـزنين حتى ... تَماريتُـن في علم النجـوم
وجـرَّد مـديـة كـالماء أبقـت ... على أوداجهـا أثـر الكلـوم
فما أرعـى على أم ثكـول ... ولا أبقـى على ولـد يتيم
وجـاء بهن أمثـال السبـايـا ... على لـونين مـن حبش وروم
فـداس بطـونهن بِـرَكْـل علـج ... أشـق كظـل شيطـان رجيم

(*) هذه الأبيات يصف فيها الهمذاني الكرْم والخمر والخمار وهي من بحر الوافر، قافية المتواتر.

فسالت بالدم الأنهار حتى | تركن القاع أحمر كالأديم
ولما أن قضى الأوطار منها | وميزت الدماء من اللحوم
أشار بحبسها لتزيد غماً | على ما حملته من الغموم
فأودعها من المغشى سموماً | تطابق تحت أعراق النجوم
فوافاها من النجدين شيخ | ترى ما لا ترى عين النديم
فقص عليه قصة ما أجابت | وقال ولم تدعها كالهشيم
حلفت لنشربن دم الزواني | وننتصرنّ للدين القديم
وفض الختم عن صافي الْحُمَيّا | ورد الطين في داني النسيم
ولما ذاقها والطعم مر | وقوس الظهر ظاهرة الوضوم
أعادت سِنه جَذَعاً وردت | ضراءة ذلك العظم الرميم
وجازته عن السوءى بحسنى | فيا لله للطبع الكريم
وفتيان كمجتمع الثريا | على طرف من العيش الرخيم
يساقيهم من الفتيان أحوى غضيـ | ـض الطرف ذو كشح هضيم
تنادوا للمدام وعنفوني | وقالوا هاك حظك من نعيم
فقلت أخاف عقباها ولكن | أشيعكم إلى باب الجحيم

يا عين جودي! (*)

[مجزوء الكامل

يا لمة ضرب الزما | ن على معرسها خيامَهُ
لله درك من خُزا | مى روضة عادت ثَغامه
فَوَرَبّه قامت به | للدين أشراط القيامه
لمضرج بدم النبو | ة ضارب بِيد الإمامه

(*) قال الهمذاني هذه الأبيات في مدح « الحسين بن علي » رضي الله عنهما، وهي من مجزوء الكامل، قافية المتواتر، ونرى فيها مدى حب الهمذاني لآل البيت وتأثره لمصرع الإمام الحسين في كربلاء.

متقسم يطـــأ السيـــو ... ف مجرعـا منهـا حِمامـه
منـع الورود ومـاؤه ... منـه على طـرف الثمامـه
نصـب ابـن هنـد راسـه ... فـوق الورى نصـب العلامـه
ومقبَّـل كـان النبي ... بلثمـه يشفـي غـرامـه
قـرع ابـن هنـد بـالقضيـ ... ـب غراره فـرط استضامـه
وشـدا بنغمتـه عليـ ... ـه وصـب بـالفضلات جـامـه
والعـدل أبلـج سـاطـع ... والديـن ذو خـال وشـامـه
يـا ويـح مـن ولّـى الكتـا ... ب قفـاه والدنيـا أمـامـه
ليُضرِّسَـنّ يـد النـدا ... مـة حين لا تغني النـدامـه
وليـدركـن على الكـرا ... مـة سـوء عـاقبـة الغـرامـه
وحمى أبـاح بنـو يـزيـ ... ـدِ عـن طـوائلهـم حـرامـه
حتى اشتفـوا مـن يـوم بـد ... ر واستبـدوا بـالـزعـامـه
لعنـوا أمير المؤمنيـ ... ـن بمثـل إعلان الإقـامـه
لِـم لَـمْ تَخـرّي يـا سما ... ء ولم تصبّـي يـا غمامـه
يـا لعنـة صـارت على ... أعنـاقهـم طـوق الحمامـه
إن الإمـامـة لم تكـن ... للئيم مـا تحت العمامـه
يـا سبـط هنـد وابنهـا ... دون البتـول ولا كـرامـه
يـا عين جـودي للبقيـ ... ـع ومـا بـه تشفـى رغـامـه
جـودي لمشهـد كـربلا ... ء فـوفـري عني ذمـامـه
جـودي بمكنـون الدمـو ... ع وأرسلي بـدداً تهامـه

إمامي لا يعادله إمامٌ (*) [مجزوء الكامل]

إمــــامــــي لا يعـــادلـــه إمـــامُ تـــواضـــع تحت رايتـــه الأنـــامُ
يـــزيـــد الخير والســـامـــي أبـــوه أقـــامـا الخلـق طـــراً فـــاستقـــامـــوا
فمـن يـك لائمـي في حـب رهطـي فـــــإني في ولائـــــي لا أُلامُ
ومـــن يفخـــر بـــآل أبي تـــراب فـــآلي مـــــن أُميـــــةَ والسلام

من طافت النار في زرعه!!(**) [المتقارب]

أإن كنـت ذا عـاهـــة ســاقطـــاً لئيماً تمنيتني في اللئـــــــــامْ
ومـن طـافـــت النـــار في زرعـــه تمنـــــى احتراق زروع الأنـــامْ

أرجوزة عدنانية [الرجز]

يـــا آل عصم أنتمُ أولـــو العِصَـــمْ لم تـــوسمـــوا إلا بنيران الكـــرم
لا يَنـــزع اللهُ سرابيـــل النعـــم عنكـــم فلا تخطـــوا بها دون الأمـــم
طـابـت مبـــانيكـــم وطبتم لا جَـــرم يـــا ســـادة السيـــف وأربـــاب القلم
تهمـــي سجـــايـــاكم بعقبـــانِ ودم أنتم فصـــــاح مـــــا خلا في لا ولم
الجار والعـرض لـــديكـــم في حـــرم والمال للآمـــــــال نهب مقتسم
أنتم أسـود المجـدِ لا أســـد الأجـــم يـــا سيـداً نيـط لـــه بيـــت القـــدم
بـالعمـد الأطـول والفـــرع الأشـــم هـــل لـــك أن تعقـــد في بحر الشيم

(*) هذه الأبيات يقال إنها ضد الأبيات السابقة، ويقال ان الخوارزمي انتحلها عليه إغراءً به.
والخوارزمي هو «أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي» الكاتب الشاعر اللغوي، ولد ونشأ بخوارزم، وكان ضليعاً في كل فن من فنون العربية، جاب الأقطار، فاستفاد وأفاد، وخدم كثيراً من الأمراء والملوك والوزراء، وناظر بديع الزمان الهمذاني، ولكن الهمذاني كان له أنصار كثيرون أعانوه على الخوارزمي حتى خذله، ومات سنة ٣٨٣ هـ.

(**) هذان البيتان قالها الهمذاني على البديهة عن الفارسي مترجماً معناها للعربية وهي من بحر المتقارب قافية المترادف.

عـارفـة تضرم نـاراً في علَـم ... ويقصر الشكـر عليهـا قـل نعـم

أمـا وإنعـامـك إنـه قسَـم ... وثغـر مجد في معـاليـك ابتسم

إنـك في النـاس كبُـرء في سقـم ... يـا فـرق مـا بين الوجـود والعـدم

وبُعْـدَ مـا بين الموالي والخـدم ... مـا أحـد كهـاشم وإن هشم

ولا امـرؤ[1] كحـاتم وإن حتم ... ليس الحدوث في المعـالي كـالقـدم

ولا شبـاب النبـت فيهـا كـالهرم ... شتـان مـا بين الذُّنـابـى[2] والقمـم

---

(١) في اليتيمة (امرء).

(٢) في اليتيمة (الدناني) ـ وهذه القصيدة من بحر الرجز ـ حرف الميم.

حرف « النون »

تعالى الله، ما شاء الله (*) [الهزج]

تعالى الله ما شاء	وزاد الله إيماني
أأفريدون في التاج	أم الاسكندر الثاني
أم الرجعة قد عادت	إلينا بسليمان
أظلت شمس محمود	على أنجم سامان
وأمسى آل بهرام	عبيداً لابن خاقان
إذا ما ركب الفيل	لحرب أو لميدان
رأت عيناك سلطاناً	على منكب شيطان
أمن واسطة الهند	إلى ساحات جرجان
ومن قاصية السند	إلى أقصى خراسان
على مُقتَبَلِ العمر	وفي مفتتح الشان
لك السرج إذا شحت	على كاهل كيوان
يمين الدولة العقبى	لبغداد وغمدان
وما يقعد بالمغر	ب عن طاعتك اثنان
إذا شئت ففي أمن	وفي يمن وإيمان

(*) وردت هذه القصيدة كما هي في اليتيمة وقال عنها الثعالبي (في السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة أطال الله بقاه) والقصيدة من بحر الهزج، قافية المتواتر.

أمْلَسُ خشن (*) [الرجز]

أمْلَسُ في جانبه خشونَهْ زنٍ ولكن عرسه مأمونَهْ
يُغْنَى به الناس ويشترونَهْ

ما للخزامى (* *) [المنسرح]

ما للخزامَى تعود نسرينا وللّيالي وحكمها فينا
عادت ثغاماً بنات عارضه وكُنَّ في صدغه رياحينا
لئن جزعنا على الشباب أسى لقد ألفنا ظلاله حينا
والدهر لونان في تصرفه يضرب بالبيدق الفرازينا
كم كسر الصخر بالزجاج وكم قطّع بالشحمة السكاكينا
ولا تظنن جوده سعة ولا تقدّر هواءهُ لينا
إن كف عن زلة فلا رعة أو عف عن خَلة فلا دينا
اقرأ سلامي على الوزير وقل لا عدم الملك منك تمكينا
إن كنت من طينة خلقت فلا زالت يد الله تخلق الطينا

لا ولا (* * *) [الرمل]

لا ولا لا لست من قدرته لم تُرَضْ نفسي على هذا الهوان
من رجال الخمر واللهو أنا لست للحزن ولا للولهان

(*) الأبيات معمى وهي من بحر الرَجَز.

(* *) هذه الأبيات من حرف النون. وقالها الهمذاني في الشيخ أبي نصر بن زيد، وهي من بحر المنسرح، قافية المتواتر.

(* * *) هذان البيتان من بحر الرمل، وهما ترجمة لمعنى فارسي، ومن قافية المترادف.

ضرب من الذل ونوع من النعمة (*) [السريع]

لـو كـان بـالـدهـر لحر يـدانْ أغـــراه مـــن همتي إلا تكـلان
وذاده عـــن خطتي صـــاغـــراً بـرد الغـراريـن حـديـد السنـــان
أكلما نـــالتـــك منـــه يـــد جـائـرة الكـف غلـوم البنـــان
نثرتَ من نـــرجستَـــيْ روضـــة على جنـــى الورد عِقـــدَي جمـان
مـــؤكـــد مـــن حـــرج أو ضمان على الليـــالي وصروف الزمـــان
إن لم تعلقـــك بـــأحـــداثهـــا ولم تجرعـــك بمـــر الهـــوان
قـــال وقـــد راش بها دلّهـــا كما انثنى تحت الصَّبا غصـن بـان
ضربٌ مـن الذل ونـوع مـن النعـ ـمـة تفْطَـنْ لـه الْخَيـزُران
إنـــك يـــا ذا العَـــزَمـــاتِ التي يسرن والشمس شريكـي عنـان
تَـدرَعُ مـن عـزمـك ثـوب المنـى والدهـــر منـــا سبعـــة في ثمـان
عني بـــإغْـــوالِكِ يـــا هـــذه لســـتُ لخود بمطبـــع العنـــان
لا يجهـــل البـــازل سنـــاً ولا أعلّـــم الخمـــرة إني عـــوان
لي غلـوة أخـرى فـإن أورقـت كسرت قـوسي وهشمت البنـان
منحـــــة إن أخلفـــت بغيتي جـرعـت بـأسي وأكلـت اللسـان
وغـــزوة إن خففـــت مطلبي أغمدت سيفـي ونـزعـت السنـان
يـا ملـك الدهـر ويـا مـن لـه واسطـة الدَّسـت وصـدر المكـان
ومنتضى الصـــارم يجري دمـــاً والقلم الماطـــر يجـري بيـــان
هـــل أنـــت إلا رجـــل واحـــد أفـــرغ في قـــالبـــه الأجـــودان
أم أنـــت إلا ملـــك مكْـــرَم أظهـــره الله لـــرأي العيـــان
لهذه العـــزة حيـــث الفـــلا قد عفـت أرضي وتـركـت الهوان

(*) هذه الأبيات للهمذاني يمدح بها واحدٌ من رجالات عصره الكبار، وهي من بحر السريع قافية المترادف.

كما اقتضيتُ الدهرَ ميعادَه ... بهذه الرقعة والآن آن
يا ملك الدهر الذي خِلتُني ... ظَلْتُ من الدهر به في أمان
انظر إلى الخطب الذي اغتالني ... هل أثر يُلقَى له أو عيان
إن يك من ذي أمل هجرة ... إلى مجال قبله هجرتان
وكل هذا وذاك الحمى ... وبعض هذا وبك المستعان

ويك يا دهر!! (★) [الرمل]

ويك يا دهر لحا ... ك الله ما أعظم شانك!
ساكت أنت وما اكـ ... ـثر باللغو لسانَكْ
قصر الله عن الأحـ ... ـرار والمجد عنانَكْ

في يقين من المنون!! (★ ★) [مخلع البسيط]

نحن من العيش في ظنون ... وفي يقين من المنون
ثُمّتَ لا نرقب المنايا ... أليس ذا غاية الجنون

أبو عامر الضبي (★ ★ ★) [الوافر]

ليل الصِّبا ونهارُه سكرانُ ... حَدَثان لم يدركهما حدثان
يا زَفرة لي لا يكاد أزيزها ... يَسَعُ الضلوع إليكِ يا هَمَذانُ
قسماً لقد فَقَدَ الفراق بي امرأً ... ليست تجود بردّه البلدانُ
يا دهر إنك لا محالة مزعجي ... عن خطتي ولكل دهر شان
فاعمد براحلتي هراة فإنها ... عَدن وأنت رئيسها عدنان

(★) هذه الأبيات من بحر الرمل/مجزوء الرمل، بقافية المتواتر وفيها يشكو الدهر ويذمه.

(★ ★) البيتان من مخلع بحر البسيط، قافية المتواتر

(★ ★ ★) أنشد الهمذاني هذه الأبيات في أبي عامر عدنان بن محمد الضبي ـ وجاءت في اليتيمة كما يلي:

ليل الصبا ونهاره مكران ... حدثان لم يعركهما حدثان

حروف « الواو » و « الهاء » و « الياء »

فعاد العود (*)

[الوافر]

فلا يثقل عليك أذى عدوٍّ ... يهب إليك مثل الكلب عاوي
فكم من روضة رضت الأعادي ... فعاد العود منها وهو ذاوِ

مدحت الأمير (* *)

[المتقارب]

مدحتُ الأمير وأيامه ... فضاءت وجوه وسيئت وجوهْ
وهل يجحد الشمس إلا العميُّ ... وهل يعرف الفضل إلا ذووهْ

يا زفرة لي لا يكاد أزيزها ... يسع الضلوع إليك يا همذان
قسماً لقد فقد العراق بي امرأ ... ليست تجود ببرده البلدان
يا دهر إنك لا محالة مزعجي ... عن خطتي ولكل دهر شان
فاغمد براحلتي هراة فإنها ... عدن وإن رئيسها عدنان

وهي كما نرى من حرف النون ـ بقافية المتواتر.

(*) البيتان من حرف (الواو) من بحر الوافر، قافية المتواتر.

(* *) البيتان من حرف (الهاء) وهما من بحر المتقارب، قافية المترادف.

أكذب على الناس(*) [الوافر]

أقضي العمـــر تشبيهـــا	على النـــاس وتمـويهـــا
أرى الأيـــام لا تبقـــى	على حـــالٍ فـــأحكيهـــا
فيـــوم شرهــــا في	ويـــوم شرتي فيهـــا

إلى الصاحب بن عباد(* *) [الوافر]

كـذا مَـن شـام بـارقـة الثنـايـا	وغـــر بما تمنيـــه الصبـــايـــا
فـأدنـى مـا يعـنٌّ لـــه الدواهـــي	وأيسر مـــا يلم بـــه الرزايـــا
أظـــاعنـــة ولما أحـــظَ منهـــا	لتغـريني مـــن الوجـد السرايـــا
أجـــاعلـــة المواعـــد لي نقـــوداً	وتـــاركـــة الوفـــاء بها سنـــايـــا
وعـدتِ زيـارة وقعـــدتِ عنهـــا	وأوسَعـــت المنـــى ليّـــاً ولايـــا
قِفـــي لا بِـــرَّ أيْسر مـــن سلام	أتـــدَّخـــرينني حتى التحـــايـــا
بـــروج شـــاخصـــات أم حـــدوج	وأفلاك طـــوالع أم مطـــايـــا
وراقتــــــه الملاح فلم يبيـــــت	رويّـــة حـــازم فيصيـــب رايـــا
وقـــد أتبعتهـــا نظـــراً غليظـــاً	إلى أن جـــزت أسنمـة السبـــايـــا
فلا سُقِيـت نَـداً تلـك الثنـــايـــا	ولا وقيـت ردى تلـك النجـايـــا
وَرَيـن جـوانحاً فـــأريـــن نكـــراً	أليس بكـــل مخزيـــة خـــزايـــا
وفي الأظعـــان لـــو رحموا أســـارى	تفـــديها وأفئـــدة سبـــايـــا
غـــدت بشعـــوبهم نفسي شعـــاعـــا	وقلبي في تشطيهـــم شظـــايـــا

(*) في هذه الأبيات يصور الهمذاني نظرته إلى الناس، وتمويهه عليهم، ووردت هذه الابيات في آخر (المقامة الأزاذية).

(* *) هذه القصيدة من حرف (الياء) وهي من بحر الوافر، قافية المتواتر، وقالها في الصاحب بن عباد.
والصاحب هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد، لُقب بالصاحب لكثرة ما صاحب الوزير ابن العميد، وعنه أخذ أدبه، وله مؤلفات كثيرة، منها رسالته المسماة «الكشف عن مساوىء المتنبي» وتوفي سنة ٣٨٥ هـ.

إذا ما عُددت بُكر الغدايا — عليّ وأُحصيت حمر المشايا
فلا يوم كيومك حين بانوا — ولا ليل كليلة جرجرايا
نزلت عن الأسرة والحشايا — وقلت وقد تلاحقت المطايا
لك الخيرات إن حاولت دَلاً — ولي الويلات إن أزمعت نايا
وما أحظى من الحسناء إلا — بما يحظى الشجي من الخلايا
وإن يك حظه منهن حظّاً — على المرباع منا والصفايا
تَطَيَّر أن رأت رأسي خضيباً — وتحت غلائل الخطر البلايا
عذيري من عذارى في ليال — وأيام فرين بها الفرايا
وقالت ما خضبت الشيب لكن — لففت به بلايا في ولايا
وتعجب لاختياري أن رأتني — أرى بحراً وأمتاح الركايا
سأنتاب الوزير فإن أتيحت — زيارته وساعدت القضايا
أنَلْ ما شئت من كرم لديه — وأحظ بما أردت من العطايا
أُعاود وِرده والعود خير — وأرجع إن للرجعى مزايا
عسى الأيام تعتب في ذراه — وتوصي الدهر بي خير الوصايا
ندى كافي الكفاة إليك أشكو — زماناً غير مرضيّ السجايا
زممت إليك آمالي عجافاً — وهمي بعد بدنتها رزايا
ضمنً ليَ الغنى بمسير شهر — لتعزم عنك أخلاق الرضايا
عجمت مكاسراً طابت نضاراً — وزدت مكارماً كرمت زكايا
أإسماعيل من راع زعيم — إذا ما نام لم تنم الرعايا
أعرني فضل عارفة وفضلاً — ترى آبن جلا وطلاع الثنايا
يَشيم العز في نوء الدواهي — ويرعى المجد في أرض المنايا

سيأتي القضاء (*) [المتقارب]

أيـا مـن تعـرض للـداهيـهْ ولم يتلـزم سنَـنَ العـافيـهْ
سيـأتي القضـاء فلا تـأتـه ولا تقعـدنّ على القـافيـه
ويـا مـن يلم بـه نكبـة وألطـاف خـالقـه خـافيـه
سيلبسهـا سـابغـاً ضـافيـاً ويشربها عـذبـة صـافيـه
وليـس الغنى أن يقـول الغنيّ عقـاري وداري وأمـواليـه
ولا أسرج الطِّـرف لي يـا غـلام ولا نضِّـدي الفـرش يـا جـاريـه
ولكنهـا غير مـا عنـده مـن الله وافيـة واقيـه

(*) هذه الأبيات الرقيقة من شعر الحكمة، من بحر المتقارب، قافية المتراكب.

هذه الأبيات آخر ما في النسخة المطبوعة من (ديوان الهمذاني) وكتب ما يلي « قد تم الطبع. بأحسن شكل وأجمل وضع. بمطبعة الموسوعات بمصر بحسن إدارة رئيسها النشيط النبيل « محمد أفندي إسماعيل » وقرظة صفوة الفضلاء حضرة « محمد أفندي التميمي » نجل المرحوم العلامة الشيخ « أحمد التميمي الخُليلي » مفتي الديار المصرية سابقاً. وقد أجاد حفظه الله حيث قال:

نظـم البـديـع نظـم فـائـق وافـى الزمـان بـه كـزهـر ربيعـه
فبطبعـهِ جـدَّ الأديـب محـمد شكـري لـه شكـري لحسـن صنيعـه
بَـذلَ النفـائس كـي يعمـم نفعـه والله أرجـو العـون في تـوزيعـه
يـا طيـب حسـن ختـامـه تـاريخه يـزهـو الزمـان بطبـع نظـم بـديعـه ».

منوعة!!

دفاع عن السلفِ الصالح (*)

وكلني (1) بـالهم والكـآبـة ... طَعّـانَـةٌ لعـانـةٌ سَبّـابَـةْ
للسلـفِ الصـالـح والصحـابَـةْ ... أسـاءَ (2) سمعـاً فـأسـاء جـابـه
تـأمَّلُـوا يـا كبراء الشيعـة ... لعشرةِ الإسـلامِ والشريعـه
أتستحـلُّ هـذه الوقيعـة ... في تبـع الكفـرِ وأهـل البيعـه (3)
فكيـفَ مـن صـدقَ بـالرسـالـةْ ... وقـام للـدِّيـن بكُـلِّ آلَـةْ
واحـرز الله يـد العقبى لـه ... ذَلِكُـمُ الصـديـقُ (4) لا مَحَـالَـةْ
إمـامُ مـن أُجمع في السقيفـه (5) ... قطعـاً عليـهِ أنـهُ الخليفـةْ

(*) هذه القصيدة قالها الهمذاني وانفرد بذكرها ياقوت في معجم الأدباء الجزء الثاني الصفحات من ١٩٦ إلى ٢٠٠.

(١) وكلني = إن ذلك الطعانة يقصد الخوارزمي وكلني بالهم والحزن، أعانيه والتاء في الصيغ الثلاث للمبالغة.

(٢) أساء ـ مثل سائر يريد البديع أنه تعلم فساد العقيدة صغيراً فكان هذا أثراً ومعنى المثل السائر أساء سمعاً فأساء إجابة فحذفت الهمزة من إجابة.

(٣) أهل البيعة متعبد النصارى.

(٤) أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(٥) سقيفة بني ساعدة على أثر انتقاله عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى والخلاف الذي شجر بين المهاجرين والأنصار وإجماعهم على تخليف أبي بكر.

ناهيكَ من آثاره الشريفه ... في رَدِّهِ كيد بني حنيفه[1]

سَلِ الجبالَ الشُّمَّ والبحارا ... وسائلِ المنبر وَالْمَنَارَا

واستعلمِ الآفاقَ والأقطارا مـ ... ـن أظهر الدين بها شِعارا

ثم سَلِ الفرسَ وبيت النار ... من الذي فَلَّ شبا الكفار

هل هذه البيضُ من الآثارِ ... إلا لثاني المصطفى في الغارِ[2]

وسائِلِ الإسلام من قوَّاهُ ... وقال إذْ لم تَقُلِ الأفواهُ

واستنجز الوعدَ فأوْمى اللهُ ... من قامَ لما قعدوا إلا هو

ثاني النبي في سِني الولادهْ ... ثانيهِ في القبر بلا وسادهْ

أتأمُلُ الجنة يا شتامهْ[3] ... ليست بمأواك ولا كرامَهْ(*)

إنَّ امرأً أثنى عليه المصطفى ... ثُمَّت والاه الوصيُّ المرتضى

واجتمعت على معاليه الوَرَى ... واختارهُ خليفةً رَبُّ العُلاَ

واتبعتهُ أُمَّةُ الأُمِّيِّ ... وبايعتهُ راحةُ الوَصِيِّ[4]

وباسمِهِ استسقى حَيَا[5] الوسمي ... ما ضرَّهُ هجو الخوارزميّ

سبحان من لم يُلْقمِ الصخرَ فمه ... ولم يُعدهُ[6] حجراً ما أحْلَمَهْ

يا نذل يا مأبُونُ[7] أفطِرت فمه[8] ... لشد ما اشتاقت إليك الحطمه[9]

---

(١) بني حنيفة: حين ارتدوا ولأبي بكر الفضل في حفظ بيضة الدين ومحاربة المرتدين.

(٢) قال تعالى: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾.

(٣) يا شتامه نداء للخوارزمي والاستفهام للاستبعاد.

(*) في هذه القصيدة يمدح الهمذاني الصحابة ويهجو الخوارزمي ويجيبه على قصيدة رويت له في الطعن عليهم.

(٤) الوصي: الإمام علي كرم الله وجهه.

(٥) حيا ـ المطر والوسمي أول مطر ثم الولي.

(٦) يعده: يهوله.

(٧) المأبون: المتهم.

(٨) كف.

(٩) ﴿نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة﴾.

إن أميرَ المؤمنين المرتضى وجعفر الصادِقَ أو مُوسَى الرِّضَى
لو سمعوك بالخنا[1] مُعَرِّضَا ما ادَّخَروا عنك الحسامَ المنتضَى
ويلك لم تنج يا كلب القمر؟ ما لك يا مأبونُ تغتاب عُمَرْ
سيد من صامَ وحج واعتمر صَرِّحْ بالحادِكِ[2] لا تمشي الخمرْ[3]
يا مَنْ هجا الصِّدِّيق والفاروقَا كيما يقيمَ عند قوم سُوقا
نفخت يا طبلُ علينا بوقا فما لك اليومَ كذا موهوقاً؟
إنك في الطعن على الشيخين والقدح في السَّيِّد ذي النورين[4]
لواهِنُ الظهر سخين العين[5] معترضٌ للحين[6] بعد الحين
هلا شغلت باستك المغلومه[7] وهامةٍ تحمِلُهَا ميشومه
هلا نهتك الوجنة الموشومه عن مشتري الخلد ببئر رومه
كفى من الغيبة أدنى شمه من استجاز القدح في الأئمّة
ولم يعظم أمناءَ الأُمَّةْ فلا تلوموه ولوموا أمّهْ
ما لكَ يا نذل وللزكيَّةْ عائشة الراضية المرضيةْ؟
يا ساقِطَ الغيرة والحمية ألم تكن للمصطفى حظيَّةْ؟
من مبلغٌ عنِّي الخوارزميَّا يخبره أنَّ ابنهُ عَلَيَّا
قد اشترينا مِنهُ لحيانيَّا بشرطِ أنْ يفهمنا المعنيَّا
يا أسَدَ الخلوة خنزير الملا مَا لَكَ في الجري تقود الجملا

(١) الخنا: القبيح.
(٢) إلحادك: كفرك.
(٣) يقال للرجل إذا ختل صاحبه هو يدب له الضراء ويمشي له الخمر.
(٤) عثمان بن عفان الخليفة الثالث.
(٥) سخين العين: سخنت عينه غم وبكى.
(٦) الحين: الهلاك.
(٧) الغلمة: شدة الشبق إلى الجماع والجنس.

يا ذا الذي يثلبني[1] إذا خــلا وفي الْخَلاَ أطعِمَـهُ مـا في الخلا[2]

وقُلــتُ لَمَّــا احتفــل المِضمارُ واحتفــتْ الأسماعُ والأبصَــارُ

سـوفَ تـرى إذَا انْجَلى الغبــارُ أفــرسٌ[3] تحتي أم حِمَــارٌ (★)

(١) ينتقصني وينال مني.

(٢) الخلا الأولى: القضاء، والثانية: المرحاض.

(٣) أي: ستعلم أنني الغالب.

(★) في نيسابور التقى البديع بشيخ الكتاب في عصره، وهو الأستاذ أبو بكر الخوارزمي الذي كان يشار إليه بأطراف البنان، وكان لا يجرؤ على مساجلته إنسان. ولكن البديع استطاع أن يحتال عليه بكتابات ضارعة، ورسائل متواترة، حتى وصل إلى حضرته، واستطاع أن يجر الشيخ إلى مساجلته ومناظرته في مجالس شهدها عليه القوم، وفي تلك المجالس صال البديع وجال، وتطاول على الشيخ الذي كان قد أمن، وكان بديع الزمان في ميعة الصبا وعنفوان الشباب، طار على آثارها ذكره، وذاع صيته وانهالت عليه الأعطيات والهبات، وخلا له الجو بموت الخوارزمي، فتنقل في عرض البلاد وطولها حتى لم يبق بلد إلا دخلها واستفاد نعمها.



حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الراء

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حروف: الواو ـ الهاء ـ الياء